الركن الخامس من أركان الإيمان

الإيمان باليوم الآخر

وأثره في السلوك

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

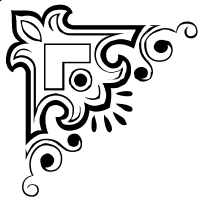

نِعْمَةُ الْإِيمَانِ

فَإِنَّ أَكْبَرَ الْمِنَنِ أَنْ يُحَبِّبَ اللهُ الْإِيمَانَ لِلْعَبْدِ، وَيُزَيِّنَهُ فِي قَلْبِهِ، وَيُذِيقَهُ حَلَاوَتَهُ، وَتَنْقَادَ جَوَارِحُهُ لِلْعَمَلِ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ؛ وَيُبَغِّضَ اللهُ إِلَيْهِ أَصْنَافَ الْمُحَرَّمَاتِ(*).

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٧- ٨]: وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ، وَحَسَّنَهُ وَقَرَّبَهُ مِنْكُمْ، وَأَدْخَلَهُ فِي قُلُوبِكُمْ حَتَّىٰ اخْتَرْتُمُوهُ، وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ بِاللهِ، وَالْخُرُوجَ عَنْ طَاعَتِهِ مِمَّا يَدْخُلُ فِي كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَالْمَعَاصِي الَّتِي لَا تَتَجَاوَزُ حُدُودَ الصَّغَائِرِ، أُولَئِكَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُحَبَّبُ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانُ، الْمُزَيَّنُ فِي قُلُوبِهِمْ.. هُمُ الْمُهْتَدُونَ إِلَىٰ مَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

وَهَذَا الْخَيْرُ الَّذِي حَصَلَ لَكُمْ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً عَلَيْكُمْ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِكُمْ وَبِمَا فِي قُلُوبِكُمْ، حَكِيمٌ فِي تَدْبِيرِ أُمُورِ خَلْقِهِ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ التَّوْضِيحِ وَالْبَيَانِ لِشَجَرَةِ الْإِيمَانِ» لِلْعَلَّامَةِ السَّعْدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ (الْمُحَاضَرَةُ الْأُولَىٰ)، السَّبْتُ ٥ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ٩-١١-٢٠١٣م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الحجرات: ٧- ٨].

«﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾؛ أَيْ: جَعَلَهُ مَحْبُوبًا فِي قُلُوبِكُمْ، ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ بِحَيْثُ لَا تَتْرُكُونَهُ بَعْدَ أَنْ تَقُومُوا بِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ فِعْلَ الْإِنْسَانِ الشَّيْءَ لِلْمَحَبَّةِ قَدْ يَكُونُ مَحَبَّةً عَارِضَةً، لَكِنْ إِذَا زُيِّنَ لَهُ الشَّيْءُ ثَبَتَ فِي الْمَحَبَّةِ وَدَامَتْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ وَهَذَا فِي الْقَلْبِ، ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ أَيْضًا فِي الْقَلْبِ، لَكِنْ إِذَا زُيِّنَ الشَّيْءُ الْمَحْبُوبُ لِلْإِنْسَانِ؛ فَإِنَّهُ يَسْتَمِرُّ عَلَيْهِ، وَيَثْبُتُ عَلَيْهِ.

﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾: كَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ الَّذِي هُوَ مُقَابِلُ الْإِيمَانِ، وَالْفُسُوقَ الَّذِي هُوَ مُقَابِلُ الِاسْتِقَامَةِ، وَالْعِصْيَانَ الَّذِي هُوَ مُقَابِلُ الْإِذْعَانِ، وَهَذَا تَدَرُّجٌ مِنَ الْأَعْلَىٰ إِلَىٰ مَا دُونَ؛ فَالْكُفْرُ أَعْظَمُ مِنَ الْفِسْقِ، وَالْفِسْقُ أَعْظَمُ مِنَ الْعِصْيَانِ.

فَالْكُفْرُ هُوَ الْخُرُوجُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَأَمَّا الْفِسْقُ؛ فَهُوَ دُونَ الْكُفْرِ؛ لَكِنَّهُ فِعْلُ كَبِيرَةٍ؛ كَأَنْ يَفْعَلَ الْإِنْسَانُ كَبِيرَةً مِنَ الْكَبَائِرِ وَلَمْ يَتُبْ مِنْهَا؛ كَالزِّنَا، وَشُرْبِ الْخَمْرِ، وَالسَّرِقَةِ، وَالْقَذْفِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَالْعِصْيَانُ: هُوَ الصَّغَائِرُ الَّتِي تُكَفَّرُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ**»(١). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾؛ أُولَئِكَ: الْمُشَارُ إِلَيْهِم مَنْ حَبَّبَ اللهُ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ، وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴿هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾؛

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: (١/ ٢٠٩، رقم ٢٣٣)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

يَعْنِي: الَّذِينَ سَلَكُوا طَرِيقَ الرُّشْدِ، وَالرُّشْدُ فِي الْأَصْلِ: حُسْنُ التَّصَرُّفِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِحَسَبِهِ، فَالرُّشْدُ فِي الْمَالِ: أَنْ يُحْسِنَ الْإِنْسَانُ التَّصَرُّفَ فِيهِ، وَلَا يَبْذُلُهُ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ، وَالرُّشْدُ فِي الدِّينِ: هُوَ الِاسْتِقَامَةُ عَلَىٰ دِينِ اللهِ ﷻ.

فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ حَبَّبَ اللهُ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانَ، وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ، وَهُنَا تَجِدُ هَذِهِ الْأَفْعَالَ كُلَّهَا مُضَافَةً إِلَىٰ اللهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْدَهَا: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ يَعْنِي: أَنَّ اللهَ أَفْضَلَ عَلَيْكُمْ فَضْلًا؛ أَيْ: تَفَضُّلًا مِنْهُ، وَلَيْسَ بِكَسْبِكُمْ، وَلَكِنَّهُ مِنَ اللهِ ﷻ، وَلِكَيْ يُعْلَمَ أَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ، وَأَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ الْإِيمَانَ فِي الشَّخْصِ، فَمَنْ عَلِمَ اللهُ مِنْهُ حُسْنَ النِّيَّةِ، وَحُسْنَ الْقَصْدِ وَالْإِخْلَاصِ؛ حَبَّبَ إِلَيْهِ الْإِيمَانَ، وَزَيَّنَهُ فِي قَلْبِهِ، وَكَرَّهَ إِلَيْهِ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمِ اللهُ مِنْهُ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- يَقُولُ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، وَيَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩]، فَالذُّنُوبُ سَبَبٌ لِلْمُخَالَفَةِ وَالْعِصْيَانِ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَفَضَّلَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ نِعْمَةَ الدِّينِ هُمُ الَّذِينَ وُفِّقُوا لِلْحَقِّ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾؛ يَعْنِي: إِنْعَامًا مِنْهُ عَلَيْهِمْ، وَالنِّعْمَةُ نِعْمَتَانِ: نِعْمَةٌ فِي الدُّنْيَا، وَنِعْمَةٌ فِي الْآخِرَةِ، فَنِعْمَةُ الدُّنْيَا مُتَّصِلَةٌ بِنِعْمَةِ الْآخِرَةِ فِي حَقِّهِمْ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَهُمْ مُنَعَّمُونَ فِي الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٥-٢٧]؛ أَيْ: تَنَعُّمٍ، فَهَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ عَلَيْهِمْ نِعْمَةٌ فِي الدُّنْيَا؛ لَكِنْ فِي الْآخِرَةِ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ

وَاللَّعْنَةُ -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، أَمَّا الْمُؤْمِنُ؛ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ عَلَىٰ النِّعْمَتَيْنِ جَمِيعًا؛ عَلَىٰ نِعْمَةٍ فِي الدُّنْيَا، وَنِعْمَةٍ فِي الْآخِرَةِ؛ حَتَّىٰ وَإِنْ كَانَ فَقِيرًا، أَوْ كَانَ مَرِيضًا، أَوْ كَانَ عَقِيمًا، أَوْ لَا نَسَبَ لَهُ وَلَا جَاهَ.. فَإِنَّهُ فِي نِعْمَةٍ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وَخُلَاصَةُ الْكَلَامِ فِي النِّعْمَةِ؛ أَنَّ هُنَاكَ نِعْمَتَيْنِ: نِعْمَةً عَامَّةً لِجَمِيعِ الْخَلْقِ؛ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ، وَالْفَاسِقِ وَالْمُطِيعِ، وَنِعْمَةً خَاصَّةً لِلْمُؤْمِنِ، وَهَذِهِ النِّعْمَةُ الْخَاصَّةُ تَتَّصِلُ بِنِعْمَةِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَأَمَّا الْأُولَىٰ؛ فَإِنَّهَا خَاصَّةٌ بِنِعْمَةِ الدُّنْيَا فَقَطْ؛ لِتَقُومَ عَلَىٰ الْكُفَّارِ الْحُجَّةُ.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾: هَذَانِ اسْمَانِ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ يَقْرِنُ اللهُ بَيْنَهُمَا دَائِمًا: الْعِلْمُ وَالْحِكْمَةُ، عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَعِلْمُ اللهِ -تَعَالَىٰ- مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا عَلِمَ أَنَّ اللهَ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ -حَتَّىٰ مَا يُضْمِرُهُ فِي قَلْبِهِ، حَتَّىٰ مَا يُخْفِيهِ فِي حَنَايَا صَدْرِهِ-؛ فَإِنَّهُ يَخَافُ وَيَرْهَبُ وَيَهْرَبُ مِنَ اللهِ إِلَيْهِ ﷻ، وَلَا يَقُولُ قَوْلًا يُغْضِبُ اللهَ، وَلَا يَفْعَلُ فِعْلًا يُغْضِبُ اللهَ، وَلَا يُضْمِرُ عَقِيدَةً تُغْضِبُ اللهَ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ ﷻ يَعْلَمُ ذَلِكَ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْحَكِيمُ؛ فَهُوَ ذُو الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ، وَالْحِكْمَةُ هِيَ: أَنَّ جَمِيعَ مَا يَحْكُمُ بِهِ جَلَّ وَعَلَا مُوَافِقٌ وَمُطَابِقٌ لِلْمَصَالِحِ، مَا مِنْ شَيْءٍ يَحْكُمُ اللهُ بِهِ إِلَّا وَهُوَ حِكْمَةٌ

عَظِيمَةٌ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر: ٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨].

فَمَعْنَىٰ الْحَكِيمِ؛ أَيْ: ذُو الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ، وَلَهُ مَعْنًىٰ آخَرُ، وَهُوَ: ذُو الْحُكْمِ التَّامِّ؛ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- لَهُ الْحُكْمُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ١٠]»[1].(*).

ﮂ ❁❁❁ ﮂ

(١) «تفسير ابن عثيمين»: (ص٢٩ - ٣٣)، بِاخْتِصَارٍ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ: «تَفْسِيرُ سُورَتَي (الْحُجُرَاتِ) وَ(ق)، وَذِكْرُ مَا فِيهِمَا مِنَ الْآدَابِ وَالْفَوَائِدِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ)، الِاثْنَيْنِ ٢ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ٣٠-٦-٢٠١٤م.

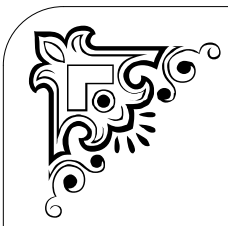

عَقِيدَتُنَا فِي الْإِيمَانِ

الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ؛ قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، وَيَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَيَتَفَاضَلُ أَهْلُهُ فِيهِ.

الْإِيمَانُ: هُوَ الْإِقْرَارُ بِالشَّيْءِ عَنْ تَصْدِيقٍ بِهِ، لَيْسَ هُوَ مُطْلَقَ التَّصْدِيقِ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُعَرِّفُ الْإِيمَانَ بِأَنَّهُ التَّصْدِيقُ، وَعَلَيْهِ فَالْإِيمَانُ يَتَضَمَّنُ مَعْنًىٰ زَائِدًا عَلَىٰ مُجَرَّدِ التَّصْدِيقِ: وَهُوَ الْإِقْرَارُ وَالِاعْتِرَافُ الْمُسْتَلْزِمُ لِلْقَبُولِ وَالْإِذْعَانِ لِلْأَحْكَامِ.

لَا بُدَّ أَنْ تُقِرَّ بِقَلْبِكَ، وَأَنْ تَعْتَرِفَ بِلِسَانِكَ، وَأَنْ تَعْمَلَ بِأَرْكَانِكَ، فَلَا بُدَّ مِنَ الْعَمَلِ بِالْجَوَارِحِ.

الْإِيمَانُ نُطْقٌ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَيَتَفَاضَلُ أَهْلُهُ فِيهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ كَوْنِ الْإِيمَانِ قَوْلًا وَعَمَلًا: قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ**﴾ [الحجرات: ٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ**﴾ [الأعراف:١٥٨] و[التغابن: ٨].

وَهَذَا مَعْنَىٰ الشَّهَادَتَيْنِ اللَّتَيْنِ لَا يَدْخُلُ الْعَبْدُ فِي الدِّينِ إِلَّا بِهِمَا، وَهِيَ مِنْ عَمَلِ الْقَلْبِ اعْتِقَادًا، وَمِنْ عَمَلِ اللِّسَانِ نُطْقًا، وَلَا تَنْفَعُ إِلَّا بِتَوَاطُئِهِمَا.

وَقَدْ سَمَّىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَعْضَ الْأَعْمَالِ إِيمَانًا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ يَعْنِي: صَلَاتَكُمْ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَبْلَ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ، سَمَّىٰ الصَّلَاةَ كُلَّهَا إِيمَانًا، وَالصَّلَاةَ جَامِعَةً لِعَمَلِ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾؛ أَيْ: وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ صَلَاتَكُمُ الَّتِي صَلَّيْتُمُوهَا قَبْلَ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ إِلَىٰ مَكَّةَ؛ صَلَّيْتُمُوهَا إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَكَذَلِكَ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْجِهَادَ، وَقِيَامَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَصِيَامَ رَمَضَانَ وَقِيَامَهُ، وَأَدَاءَ الْخُمُسِ مِنَ الْمَغْنَمِ.. جَعَلَ هَذِهِ وَغَيْرَهَا مِنَ الْإِيمَانِ.

أَدَاءُ الْخُمُسِ وَرَدَ فِي حَدِيثِ وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ، وَفِيهِ: فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمَرَهُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟**».

قَالُوا: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ**»(١).

فَهَذَا مَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ.

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (١/ ١٢٩، رقم ٥٣)، ومسلم في «**الصحيح**»: (١/ ٤٧-٤٨، رقم ١٧).

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم:٧٦].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧]، **﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾** [المدثر:٣١]، **﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾** [التوبة:١٢٤]، **﴿فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾** [آل عمران:١٧٣]، **﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾** [الأحزاب:٢٢]، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَمَا دَامَ يَزِيدُ فَإِنَّهُ يَنْقُصُ، فَهَذِهِ الْآيَاتُ كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ إِيمَانَ الْعَبْدِ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَهَذَا أَنْتَ تُحِسُّهُ فِي نَفْسِكَ، فَتُحِسُّ فِي نَفْسِكَ -أَحْيَانًا- أَنَّ إِيمَانَكَ كَأَنَّمَا هُوَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَأَحْيَانًا يَنْحَطُّ الْإِيمَانُ جِدًّا -نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنَا حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَبَرْدَ الْيَقِينِ-.

وَأَمَّا السُّنَّةُ؛ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِحَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ رضي الله عنه، وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدِ اشْتَكَىٰ لِلنَّبِيِّ ﷺ زِيَادَةَ الْإِيمَانِ وَنُقْصَانَهُ، فَاشْتَكَىٰ نُقْصَانَ الْإِيمَانِ، فَقَالَ: «إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ وَنَسِينَا كَثِيرًا.

«عَافَسْنَا»؛ أَيْ: حَاوَلْنَا ذَلِكَ، وَلَاعَبْنَا نِسَاءَنَا وَأَطْفَالَنَا وَاشْتَغَلْنَا بِمَعَاشِنَا، فَيُلْهِينَا ذَلِكَ عَنِ الذِّكْرِ فَتَنْحَطُّ حَالُنَا عَمَّا كُنَّا عَلَيْهِ بَيْنَ يَدَيْكَ فِي مَجَالِسِ الْعِلْمِ

وَمَجَالِسِ التَّذْكِيرِ، فَيَقُولُ: نَكُونُ عِنْدَكَ عَلَىٰ حَالٍ، فَإِذَا انْصَرَفْنَا انْحَطَطْنَا نَوْعًا مَا عَنْ تِلْكَ الْحَالِ، وَاشْتَكَىٰ مِنْ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا قَالَ ذَلِكَ لِأَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه وَرَمَىٰ نَفْسَهُ بِالنِّفَاقِ، فَإِنَّهُ لَمَّا لَقِيَهُ فَقَالَ: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟».

قَالَ: «أَصْبَحْتُ مُنَافِقًا».

قَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ! انْظُرْ مَا تَقُولُ».

قَالَ: «إِنَّا نَكُونُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ حَالٍ، فَإِذَا انْصَرَفْنَا وَعَافَسْنَا الزَّوْجَاتِ وَالضَّيْعَاتِ وَالْأَوْلَادَ نَسِينَا كَثِيرًا».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: «أَمَا إِنِّي لَأَجِدُ فِي نَفْسِي مِثْلَ الَّذِي تَقُولُ»، وَلَمْ يَرْمِ نَفْسَهُ بِالنِّفَاقِ رضي الله عنه، ثُمَّ ذَهَبَا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَاشْتَكَيَا إِلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ فِي كُلِّ حَالَةٍ كَحَالَتِكُمْ عِنْدِي لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ فِي الطُّرُقَاتِ وَعَلَىٰ فُرُشِكُمْ**»(١).

إِذَنِ؛ الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، لَا يَكُونُ الْمَرْءُ فِي الصَّلَاةِ كَمَا يَكُونُ خَارِجَ الصَّلَاةِ، وَلَا فِي مَجَالِسِ الْعِلْمِ وَالتَّذْكِيرِ وَالتِّلَاوَةِ كَمَا يَكُونُ خَارِجَهَا، لَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ، وَلَا يَكُونُ فِي حَالِ حَجِّهِ بَيْتَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مُنِيبًا مُخْبِتًا بِنَفَقَةٍ طَيِّبَةٍ صَالِحَةٍ، كَحَالِهِ عِنْدَمَا يَكُونُ مُقِيمًا فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ بَيْنَ أَهْلِهِ، فَإِنَّ الْحَالَ تَخْتَلِفُ لَا شَكَّ، فَالْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

---

(١) «صحيح مسلم»: (٤/ ٢١٠٦-٢١٠٧، رقم ٢٧٥٠).

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠-١١]، إِلَىٰ أَنْ قَالَ: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٢٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩١]، - فَفَرْقٌ بَيْنَهُمْ؛ بَيْنَ الْمُقَرَّبِينَ وَبَيْنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ-، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر :٣٢].

كَذَلِكَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ: «**أَنَّ اللهَ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ**»(١).

وَفِي رِوَايَةٍ: «**يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً**». الْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢) مِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، (١٨/ ٣٩٤) رقم ١١٨٩٨، والنسائي (٥٠١٠)، وابن ماجه (٦٠)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥/ ٣١٦).

(٢) جزء من حديث الشفاعة، الذي أخرجه البخاري: كِتَابُ التَّوْحِيدِ: بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، (٧٤١٠)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانِ: بَابُ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا، (١٩٣).

فَأَهْلُ الْإِيمَانِ يَتَفَاضَلُونَ فِيهِ، لَيْسُوا سَوَاءً، وَإِنَّمَا هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَمِنْهُمْ مَنْ إِيمَانُهُ فِي الثُّرَيَّا، وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ -نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنَا حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَبَرْدَ الْيَقِينِ-.

وَالْإِيمَانُ يَشْمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ، وَالدَّلِيلُ: حَدِيثُ وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ: «**آمُرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ**».

قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ؟**».

قَالُوا: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

قَالَ ﷺ: «**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ**». وَالْحَدِيثُ -كَمَا مَرَّ- فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١).

الْإِسْلَامُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ يَشْمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ، فَعِنْدَ الْإِطْلَاقِ لِلَفْظِ الْإِسْلَامِ يَدْخُلُ الْإِيمَانُ وَيَدْخُلُ الْإِحْسَانُ، يَدْخُلُ الدِّينُ كُلُّهُ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ يَشْمَلُ الْإِسْلَامَ وَيَشْمَلُ الْإِحْسَانَ، وَيَشْمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ.

وَأَمَّا عِنْدَ التَّفْصِيلِ فَالْإِسْلَامُ يُعَرَّفُ بِالْأَرْكَانِ الْخَمْسَةِ: «**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ الْبَيْتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»، هَذَا عِنْدَ التَّفْصِيلِ.

---

(١) تقدم تخريجه.

وَالْإِيْمَانُ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ يَشْمَلُ الدِّينَ كُلَّهُ، وَأَمَّا عِنْدَ التَّفْصِيلِ فَهُوَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، فَهُوَ سِتَّةُ أَرْكَانٍ عِنْدَ التَّفْصِيلِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ تَعْرِيفِ الْإِيمَانِ بِالْأَرْكَانِ السِّتَّةِ عِنْدَ التَّفْصِيلِ هُوَ حَدِيثُ جِبْرِيلَ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ عُمَرَ، وَأَخْرَجَ نَحْوَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ لَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ وَقَالَ: «أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ».

قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١).

وَدَلِيلُ الْأَرْكَانِ السِّتَّةِ مِنَ الْكِتَابِ جُمْلَةً: قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿**لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ**﴾ [البقرة:١٧٧].

هَذِهِ خَمْسَةٌ، وَأَمَّا سَادِسُهَا فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر: ٤٩].(*).

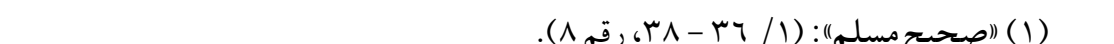

(١) «صحيح مسلم»: (١/ ٣٦ - ٣٨، رقم ٨).

وحديث جبريل عليه السلام في الصحيحين من رواية: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بنحو رواية عمر رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ ٢٠٠ سُؤَالٍ وَجَوَابٍ فِي الْعَقِيدَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّالِثَةُ)، الْأَرْبِعَاءُ ١ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٢هـ| ٥-١-٢٠١١م.

الرُّكْنُ الْخَامِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ:
الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ: الْإِيمَانُ بِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَنَعِيمِهِ، وَسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ فِي الْقَبْرِ، وَكُلِّ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْقَبْرِ.

وَالَّذِي يَكُونُ بَعْدَ الْقَبْرِ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ الْبَعْثُ، وَالنَّشْرُ، وَالْحَشْرُ، وَالْحِسَابُ، وَوَزْنُ الْأَعْمَالِ، وَالصِّرَاطُ، وَالْمِيزَانُ الَّذِي تُوزَنُ بِهِ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ.(*).

*** وَمِنْ أَدِلَّةِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنَ الْكِتَابِ:**

قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧-٨].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الذاريات: ٥-٦].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ) - الْأَرْبِعَاءُ ١٣ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ٢٠-٢-٢٠٠٨م.

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [غافر: ٥٩]. إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.(*).

*** وَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ:**

الْأَوَّلُ: الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ: وَهُوَ إِحْيَاءُ الْمَوْتَىٰ حِينَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ، فَيَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، حُفَاةً غَيْرَ مُنْتَعِلِينَ، عُرَاةً غَيْرَ مُسْتَتِرِينَ، غُرْلًا غَيْرَ مُخْتَتِنِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

الثَّانِي: الْإِيمَانُ بِالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ: يُحَاسَبُ الْعَبْدُ عَلَىٰ عَمَلِهِ، وَيُجَازَىٰ عَلَيْهِ، وَقَدْ دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَإِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥- ٢٦].

الثَّالِثُ: الْإِيمَانُ بِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَأَنَّهُمَا الْمَآلُ الْأَبَدِيُّ لِلْخَلْقِ، فَالْجَنَّةُ دَارُ النَّعِيمِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ -تَعَالَىٰ- لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانَ بِهِ، وَقَامُوا بِطَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، مُخْلِصِينَ لِلَّهِ مُتَّبِعِينَ لِرَسُولِهِ، فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ: «**مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ**»(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ ٢٠٠ سُؤَالٍ وَجَوَابٍ فِي الْعَقِيدَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ)، الثُّلَاثَاءُ ٥ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٢هـ| ٨-٢-٢٠١١م.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي (بَدْءِ الْخَلْقِ، ٨: ٥، رَقْمُ ٣٢٤٤)، وَمُسْلِمٌ فِي (صِفَةِ الْجَنَّةِ، ١: ٣، رَقْمُ ٢٨٢٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧- ٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وَأَمَّا النَّارُ؛ فَهِيَ دَارُ الْعَذَابِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ -تَعَالَىٰ- لِلْكَافِرِينَ الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِ، وَعَصَوْا رُسُلَهُ، فِيهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ مَا لَا يَخْطُرُ عَلَىٰ الْبَالِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ) - الْأَرْبِعَاءُ ١٣ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ٢٠-٢-٢٠٠٨م.

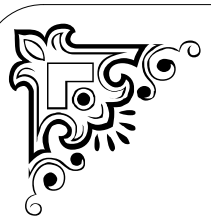

مَعْنَى الْيَوْمِ الْآخِرِ وَسَبَبُ التَّسْمِيَةِ

وَالْيَـوْمُ الآخِـرُ حَـقٌّ ثُـمَّ سَـاعَتُهُ ... بِمُنْتَهَىٰ عِلْمِهَـا الـرَّحْمَنُ مُنْفَـرِدُ
وَالْمَـوْتُ حَـقٌّ، وَمَـنْ جَـاءَتْ ... بِـأَيِّ حَتْـفٍ فَبِالْمَقْـدُورِ مُفْتَقَـدُ
مَـا إِنْ لَـهُ عَنْـهُ مِـنْ مَسْـتَأْخَرٍ أَبَـدًا ... كَـلَّا، وَلَا عَنْـهُ مِـنْ مُسْـتَقْدَمٍ يَجِـدُ
كُـلٌّ إِلَىٰ أَجَـلٍ يَجْـرِي عَلَىٰ قَـدَرٍ ... مَـا لِامْـرِئٍ عَـنْ قَضَـاءِ اللهِ مُلْتَحَـدُ

الْيَوْمُ الْآخِرُ: هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ الَّذِي يُبْعَثُ فِيهِ النَّاسُ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

وَسَبَبُ تَسْمِيَتِهِ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَوْمَ بَعْدَهُ، حَيْثُ يَسْتَقِرُّ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مَنَازِلِهِمْ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي مَنَازِلِهِمْ(١).

وَمَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ بِإِتْيَانِهِ، وَبِجَمِيعِ تَفَاصِيلِهِ، وَالْعَمَلُ بِمُوجِبِ ذَلِكَ.

وَمَفْهُومُهُ -أَيْ مَفْهُومِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ-: أَنَّهُ الْإِيمَانُ بِمَا يَشْمَلُ كُلَّ مَا وَرَدَ فِي أَخْبَارِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْإِيمَانُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَأَمَارَاتِهَا الَّتِي تَكُونُ قَبْلَهَا، وَبِالْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ وَنَعِيمِهِ، وَبِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَخُرُوجِ الْخَلَائِقِ مِنَ الْقُبُورِ، وَبِالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ،

(١) «**حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول**» للفوزان: (ص١٣٤)، بتصرف يسير.

وَمَا فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْأَفْزَاعِ، وَتَفَاصِيلِ الْمَحْشَرِ، وَنَشْرِ الصُّحُفِ، وَوَضْعِ الْمَوَازِينِ، وَبِالصِّرَاطِ وَالْقَنْطَرَةِ، وَالْحَوْضِ وَالشَّفَاعَةِ وَغَيْرِهَا، وَبِالْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا الَّذِي أَعْلَاهُ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ ﷻ، وَبِالنَّارِ وَعَذَابِهَا الَّذِي أَشَدُّهُ حَجْبُ أَهْلِهَا عَنْ رَبِّهِمْ ﷻ(١).

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَكُونُ مُجْمَلًا وَمُفَصَّلًا؛ أَمَّا الْمُجْمَلُ، وَهُوَ الْقَدْرُ الَّذِي لَا يَتِمُّ إِيمَانُ الْعَبْدِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ إِلَّا بِهِ فَهُوَ الْإِيمَانُ بِأَنَّ هُنَاكَ يَوْمًا آخِرَ يَبْعَثُ اللهُ فِيهِ الْعِبَادَ فَيُجَازِيهِمْ فِيهِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ.

وَأَمَّا الْإِيمَانُ الْمُفَصَّلُ، وَهُوَ الْقَدْرُ الَّذِي يَكُونُ تَبَعًا لِلْعِلْمِ التَّفْصِيلِيِّ الَّذِي يَبْلُغُ الْمُكَلَّفَ مِنْ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَهُوَ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، وَالْمِيزَانِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ.

فَالْإِيمَانُ التَّفْصِيلِيُّ مَبْنِيٌّ عَلَىٰ الْمَعْرِفَةِ التَّفْصِيلِيَّةِ بِنُصُوصِ الْوَحْيَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ: «تُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْحِسَابِ، وَالْمِيزَانِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَبِكُلِّ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢).

---

(١) «أعلام السنة المنشورة»: (ص٥٥).

(٢) «تعظيم قدر الصلاة»: (١/ ٣٩٣ - ٣٩٤).

فَكُلُّ مَا يَبْلُغُ الْمُسْلِمَ مِنْ نُصُوصِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فَيَجِبُ عَلَيْهِ الْإِيمَانُ بِهِ.

أَصْلُ هَذَا أَنَّ حُكْمَ الْخِطَابِ فِي حَقِّ الْمُكَلَّفِ لَا يَثْبُتُ إِلَّا بَعْدَ بُلُوغِ الْحُجَّةِ الرِّسَالِيَّةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩]، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَلِهَذَا كَانَ النَّاسُ مُتَفَاوِتِينَ فِي إِيمَانِهِمْ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالتَّفَاوُتُ سَبَبُهُ تَفَاوُتُ الْعِلْمِ، فَمَنْ عَلِمَ أَكْثَرَ آمَنَ أَكْثَرَ، فَيَزِيدُ إِيمَانُهُ عَلَىٰ غَيْرِهِ.

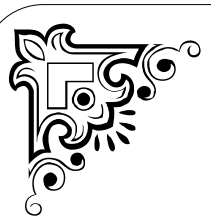
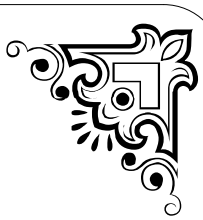

أَهَمِّيَّةُ الْيَوْمِ الْآخِرِ الْعُظْمَى

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لَهُ أَهَمِّيَّةٌ عُظْمَىٰ، وَيَدُلُّ عَلَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتَّةِ كَمَا فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ عليه السلام عِنْدَمَا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١).

يَدُلُّ عَلَىٰ أَهَمِّيَّتِهِ -أَيْضًا- كَثْرَةُ وُرُودِهِ فِي نُصُوصِ الشَّرْعِ، فَقَلَّ أَنْ تَمُرَّ عَلَىٰ صَفْحَةٍ مِنَ الْكِتَابِ الْمَجِيدِ إِلَّا وَتَجِدُ فِيهَا حَدِيثًا عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَا فِيهِ مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ.

وَيَدُلُّ عَلَىٰ أَهَمِّيَّتِهِ -أَيْضًا- كَثْرَةُ ارْتِبَاطِهِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ، فَكَثِيرًا مَا يَرِدُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ ذِكْرُ الْيَوْمِ الْآخِرِ مُرْتَبِطًا بِاللهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ**﴾ [البقرة: ١٧٧].

---

(١) تقدم تخريجه.

فِي «**صَحِيحِ مُسْلِمٍ**»: (١/ ٣٦، رقم ٨)، وَاللَّفْظُ لَهُ، مِنْ حَدِيثِ: عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه.

وَالْحَدِيثُ فِي الصَّحِيحَيْنِ بنحوه، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

فَكَثِيرًا مَا يَرْتَبِطُ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ بِالْإِيمَانِ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا.

كَذَلِكَ كَثْرَةُ الثَّنَاءِ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، وَالذَّمِّ لِلْكَافِرِينَ بِهِ.

قَالَ -تَعَالَىٰ- فِي وَصْفِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [لقمان: ٤]، وَقَالَ فِي وَصْفِ الْكَافِرِينَ: ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [هود: ١٩].

كَذَلِكَ لِلْيَوْمِ الْآخِرِ أَسْمَاءٌ كَثِيرَةٌ، وَالسِّرُّ فِي ذَلِكَ عِظَمُ أَمْرِهِ، وَكَثْرَةُ هَوْلِهِ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «كُلُّ مَا(٢) عَظُمَ شَأْنُهُ تَعَدَّدَتْ صِفَاتُهُ، وَكَثُرَتْ أَسْمَاؤُهُ، وَهَذا مَهْيَعٌ(٣) كَلَامِ الْعَرَبِ، أَلَا تَرَىٰ أَنَّ السَّيْفَ لَمَّا عَظُمَ عِنْدَهُمْ مَوْضِعُهُ، وَتَأَكَّدَ نَفْعُهُ لَدَيْهِمْ وَمَوْقِعُهُ، جَمَعُوا لَهُ خَمْسَ مِئَةِ اسْمٍ، وَلَهُ نَظَائِرُ، فَالْقِيَامَةُ لَمَّا عَظُمَ أَمْرُهَا وَكَثُرَتْ أَهْوَالُهَا سَمَّاهَا اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي كِتَابِهِ بِأَسْمَاءٍ عَدِيدَةٍ، وَوَصَفَهَا بِأَوْصَافٍ كَثِيرَةٍ»(٤).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الأَدَبِ: بَابٌ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ...، (١٠/ ٤٤٥، رقم ٦٠١٨)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْإِيمَانِ: بَابُ الْحَثِّ عَلَىٰ إِكْرَامِ الْجَارِ وَالضَّيْفِ...، (١/ ٦٨، رقم ٤٧)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) في التذكرة: [وكلما].

(٣) في التذكرة: [جميع].

(٤) «**التذكرة بأحوال الموتىٰ**»: (ص٥٤٤).

كَذَلِكَ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِهِ -أَيْ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ- مِنَ الثَّمَرَاتِ الْجَلِيلَةِ، وَالْآثَارِ الْعَظِيمَةِ.

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ الرُّكْنُ الْخَامِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، لَا يَتِمُّ إِيمَانُ الْعَبْدِ إِلَّا بِهِ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ لَا يَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ اسْمَ الْإِيمَانِ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ أَنَّ وَصْفَ الصِّدْقِ وَالْإِيمَانِ يَكُونُ لِمَنْ حَقَّقَ الْإِيمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَرْكَانِ، وَرَتَّبَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ عَدَمِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ الْكُفْرَ وَالضَّلَالَ الْبَعِيدَ، وَأَثْنَىٰ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [المعارج: ١٩- ٢٦].

كَمَا جَعَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ- مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الْكُفْرِ أَنَّهُمْ يُكَذِّبُونَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [المدثر: ٣٨-٤٦]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [المطففين: ١٠-١١].

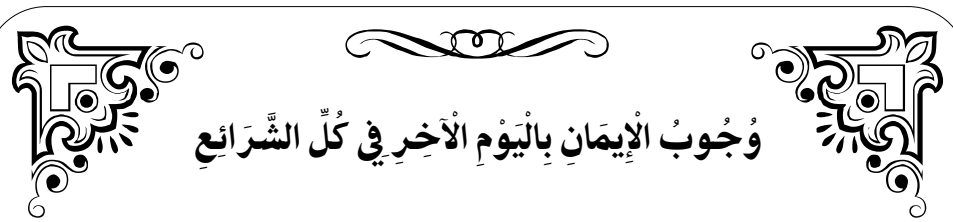

وُجُوبُ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فِي كُلِّ الشَّرَائِعِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! وُجُوبُ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ الشَّرَائِعُ كُلُّهَا، فَمَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا وَهُوَ يَدْعُو إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ -تَعَالَىٰ- عَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢].

وَقَالَ -تَعَالَىٰ- عَنْ شُعَيْبٍ: ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٦].

وَقَالَ -تَعَالَىٰ- لِمُوسَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥].

وَاحْتَجَّ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ عَلَىٰ الْكُفَّارِ أَنَّ رُسُلَهُمْ قَدْ أَنْذَرَتْهُمُ الْيَوْمَ الْآخِرَ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [الجاثية: ٣٤].

فَهَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَاتُ تُبَيِّنُ اتِّفَاقَ الرُّسُلِ عَلَىٰ إِخْبَارِ أُمَمِهِمْ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَأَمَرِهِمْ بِالْإِيمَانِ بِهِ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «جَمِيعُ الرُّسُلِ أَخْبَرَتْ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ خِلَافَ مَا تَزْعُمُ طَوَائِفُ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ أَنَّ الْمَعَادَ الْجُسْمَانِيَّ لَمْ يُخْبِرْ بِهِ إِلَّا مُحَمَّدٌ وَعِيسَىٰ»(١).

❀❀❀

(١) «الاستقامة»: (١/ ١٧).

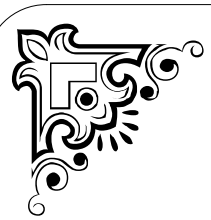

وُجُوبُ الْإِيمَانِ بِتَفَاصِيلِ الْيَوْمِ الْآخِرِ

مِمَّا يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ مِنْ تَفَاصِيلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ لَمْ يُعْلَمْ مَعْنَاهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ فِي الْإِيمَانِ الْمُجْمَلِ الْعِلْمُ بِمَعْنَىٰ كُلِّ مَا أَخْبَرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهِ.

لَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا يُعْلَمُ مَعْنَاهُ، لَكِنْ لَوْ قُدِّرَ أَنَّ أَحَدًا جَهِلَ مَعْنَىٰ مَسْأَلَةٍ مِنْ تَفَاصِيلِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُؤْمِنَ بِهَا، وَإِذَا اسْتَشْكَلَهَا؛ فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْأَلَ عَنْهَا عَالِمَهَا؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي الشَّرِيعَةِ شَيْءٌ بِلَا مَعْنًىٰ، لَكِنْ عَلِمَهُ مِنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مِنْ جَهِلَهُ.

أَبْوَابُ الْغَيْبِ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا وَإِنْ لَمْ تُدْرِكْهَا الْعُقُولُ، فَلَيْسَ مَا لَا يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ لَا يَجُوزُ اعْتِقَادُهُ فِي الدِّينِ.

وَالشَّرِيعَةِ -وَلِلهِ الْحَمْدُ- لَمْ تَجِئْ بِمَا يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ بُطْلَانُهُ، وَإِنَّمَا تُخْبِرُ بِمَا يَعْجِزُ عَقْلُ النَّاسِ عَنْ فَهْمِهِ وَتَصَوُّرِهِ، وَعَلَيْهِ فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلَ.

قَالَ الْأَصْبَهَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْحُجَّةِ»(١): «نَحْنُ إِذَا تَدَبَّرْنَا عَامَّةَ مَا جَاءَ فِي أَمْرِ الدِّينِ مِنْ ذِكْرِ صِفَاتِ اللهِ، وَمَا تَعَبَّدَ النَّاسَ بِهِ مِنَ اعْتِقَادِهِ، وَكَذَلِكَ مَا ظَهَرَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَتَدَاوَلُوهُ بَيْنَهُمْ وَنَقَلُوهُ عَنْ سَلَفِهِمْ إِلَىٰ أَنْ أَسْنَدُوهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ مِنْ ذِكْرِ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَالْحَوْضِ، وَالْمِيزَانِ، وَالصِّرَاطِ، وَصِفَاتِ الْجَنَّةِ، وَصِفَاتِ النَّارِ، وَتَخْلِيدِ الْفَرِيقَيْنِ فِيهِمَا أُمُورٌ لَا نُدْرِكُ حَقَائِقَهَا بِعُقُولِنَا، وَإِنَّمَا وَرَدَ الْأَمْرُ بِقَبُولِهَا وَالْإِيمَانِ بِهَا، فَإِذَا سَمِعْنَا شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَعَقَلْنَاهُ وَفَهِمْنَاهُ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ فِي ذَلِكَ وَالشُّكْرُ وَمِنْهُ التَّوْفِيقُ.

وَمَا لَا يُمْكِنُنَا إِدْرَاكُهُ وَفَهْمُهُ وَلَمْ تَبْلُغْهُ عُقُولُنَا آمَنَّا بِهِ وَصَدَّقْنَاهُ، وَاعْتَقَدْنَا أَنَّ هَذَا مِنْ قِبَلِ رُبُوبِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَاكْتَفَيْنَا فِي ذَلِكَ بِعِلْمِهِ وَمَشِيئَتِهِ».

وَهَذِهِ حَقِيقَةُ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ جَلَّوَعَلَا -أَي: مَا يُتَعَبَّدُ بِهِ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-؛ لِأَنَّ اللهَ لَمْ يُرِدْ الْإِنْسَانَ مُطْلَقَ عَابِدٍ للهِ جَلَّوَعَلَا، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْإِنْسَانَ عَابِدًا للهِ بِمَا تَعَبَّدَهُ اللهُ بِهِ.

لِذَلِكَ كَانَتِ الْبِدْعَةُ فِي الدِّينِ مَرْدُودَةً؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَمْ يَشْرَعْهَا لِخَلْقِهِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ -وَالْعِبَادَةُ تَوْقِيفِيَّةٌ- أَنْ يَتَعَبَّدَ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِغَيْرِ مَا شَرَعَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ.

فَإِنَّ أَبَا إِسْرَائِيلَ قَامَ فِي الشَّمْسِ لَا يَسْتَظِلُّ، وَنَذَرَ أَلَّا يَتَكَلَّمَ، وَأَنْ يَصُومَ، وَأَلَّا يَقْعُدَ، فَأَرَادَ أَنْ يَتَعَبَّدَ للهِ بِهَذِهِ الْأُمُورِ، فَرَدَّهُ الرَّسُولُ ﷺ؛ أَمَرَهُ بِأَنْ يَقْعُدَ، وَأَنْ

---

(١) «الْحُجَّةُ فِي بَيَانِ الْمَحَجَّةِ»: (١/ ٣٢١).

يَسْتَظِلَّ، وَأَنْ يَتَكَلَّمَ، وَأَنْ يُتِمَّ صَوْمَهُ(١).

فَأَقَرَّ مَا يَنْفَعُهُ مِمَّا شَرَعَهُ اللهُ، وَنَهَاهُ عَمَّا يَضُرُّهُ مِمَّا أَتَىٰ بِهِ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ؛ أَنْ يَبْقَىٰ قَائِمًا، ضَاحِيًا غَيْرَ مُسْتَظِلٍّ، وَأَلَّا يَتَكَلَّمَ، وَهُوَ يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَتَعَبَّدَ للهِ بِهَذِهِ الْأُمُورِ، وَأَنْ يَتَقَرَّبَ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَا، فَأَمَرَهُ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَأَنْ يَأْخُذَ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا؛ يَعْنِي الصِّيَامَ.

فَهَذِهِ الْأُمُورُ ثَابِتَةٌ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّنَا لَا نَتَعَبَّدُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِلَّا بِعِبَادَةٍ شَرَعَهَا لَنَا.

فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يُقَدِّرُ شَيْئًا وَلَا يُشَرِّعُ شَيْئًا إِلَّا عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ الْحِكْمَةِ، وَمُجَرَّدُ فَرْضِ ذَلِكَ عَلَىٰ الْعَبْدِ هَذِهِ حِكْمَةٌ لَا يُبْحَثُ -حِينَئِذٍ- مِنْ أَجْلِ أَنْ يَأْتِيَ بِهَذَا الَّذِي كُلِّفَ بِهِ عَنْ الْحِكْمَةِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي يَفْهَمُهَا هُوَ.

الْإِنْسَانُ قَدْ لَا يَصِلُ إِلَىٰ وَجْهِ الْحِكْمَةِ بِحَالٍ، وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هُوَ الْحَكِيمُ.

فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَوْلَىٰ بِالتَّسْلِيمِ أَنْ نَكُونَ مُوقِنِينَ بِهَا مُؤْمِنِينَ بِهَا؛ لِأَنَّهَا وَرَدَتْ فِي كِتَابِ اللهِ أَوْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ: بَابُ النَّذْرِ فِيمَا لَا يَمْلِكُ وَفِي مَعْصِيَةٍ، (١١/ ٥٨٦، رقم ٦٧٠٤)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ، نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ، وَلَا يَسْتَظِلَّ، وَلَا يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ**».

أَبْوَابُ الْغَيْبِ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا وَإِنْ لَمْ تُدْرِكْهَا الْعُقُولُ، فَلَيْسَ مَا لَا يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ لَا يَجُوزُ اعْتِقَادُهُ فِي الدِّينِ، وَالشَّرِيعَةِ لَمْ تَجِئْ بِمَا يُعْلَمُ بِالْعَقْلِ بُطْلَانُهُ، وَإِنَّمَا تُخْبِرُ بِمَا يَعْجِزُ عَقْلُ الْإِنْسَانِ عَنْ فَهْمِهِ وَتَصَوُّرِهِ.

كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ(١): إِنَّ الشَّرِيعَةَ لَا تَأْتِي بِمَا تُحِيلُهُ الْعُقُولُ، وَلَكِنْ رُبَّمَا أَتَتْ بِمَا تَحَارُ فِيهِ الْعُقُولُ، وَأَمَّا الِاسْتِحَالَةُ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَلْحَقَ شَيْئًا مما جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، قَدْ يَكُونُ الْأَمْرُ مُحَيِّرًا لِلْعَقْلِ، وَلَكِنَّهُ لَا يَكُونُ مُسْتَحِيلًا فِي ذَاتِهِ، بَلْ يَكُونُ مُمْكِنًا.

فَلَمْ تَأْتِ الشَّرِيعَةُ بِمَا تُحِيلُهُ الْعُقُولُ، وَإِنَّمَا تَأْتِي أَحْيَانًا بِمَا تَحَارُ فِيهِ الْعُقُولُ.

وَعَلَيْهِ فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

❀❀❀

(١) كابن أبي العز الحنفي في «**شرح الطحاوية**»: (٢/ ٥٧٨).

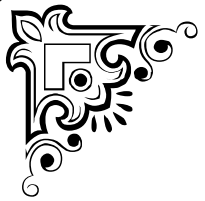
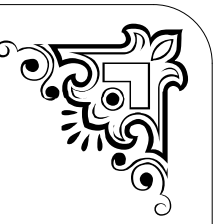

الْيَوْمُ الْآخِرُ حَقٌّ وَاقِعٌ

وَالْيَوْمُ الاَخِرُ حَقٌّ ثُمَّ سَاعَتُهُ ... بِمُنْتَهَىٰ عِلْمِهَا الرَّحْمَنُ مُنْفَرِدُ

الرُّكْنُ الْخَامِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ هُوَ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، هَذَا الْيَوْمُ حَقٌّ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ، وَالنَّاسُ يُبْعَثُونَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ جَلَّوَعَلَا لِمُلَاقَاةِ حِسَابِهِمْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

إِنَّ مَوْعِدَ هَذَا الْيَوْمِ وَسَاعَتَهُ مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: **أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَىٰ النَّبِيَّ** ﷺ **فَقَالَ:** «يَا رَسُولَ اللهِ! مَتَىٰ السَّاعَةُ قَائِمَةٌ؟».

قَالَ: «**وَيْلَكَ! وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**».

قَالَ: «مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ».

قَالَ: «**فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**».

فَقُلْنَا: «وَنَحْنُ كَذَلِكَ؟».

قَالَ: «نَعَمْ».

فَفَرِحْنَا فَرَحًا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»(١).

فَيَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَسَاعَتَهُ مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ ﷻ.

❀❀❀

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: بَابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ...، (٧/ ٤٢، رقم ٣٦٨٨)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ: بَابُ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، (٤/ ٢٠٣٢، رقم ٢٦٣٩).

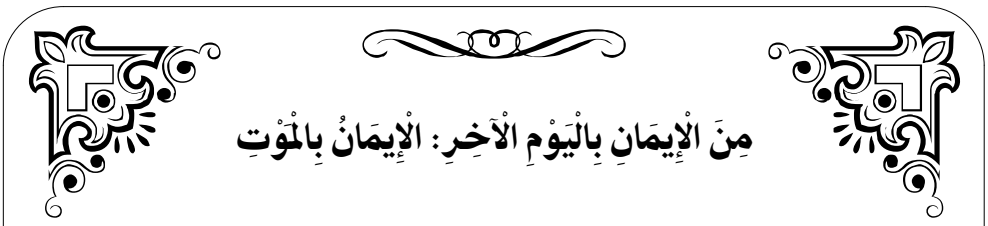

مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِالْمَوْتِ

وَالْمَوْتُ حَقٌّ وَمَنْ جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ ... بِأَيِّ حَتْفٍ فَبِالْمَقْدُورِ مُفْتَقَدُ
مَا إِنْ لَهُ عَنْهُ مِنْ مُسْتَأْخَرٍ أَبَدًا ... كَلَّا وَلَا لَهُ عَنْهُ مِنْ مُسْتَقْدَمٍ يَجِدُ
كُلٌّ إِلَىٰ أَجَلٍ يَجْرِي عَلَىٰ قَدَرٍ ... مَا لِامْرِئٍ عَنْ قَضَاءِ اللهِ مُلْتَحَدُ

الْمُلْتَحَدُ: الْمَلْجَأُ(١).

وَالْحَتْفُ: الْمَوْتُ(٢).

إِنَّ مِنَ الْأُمُورِ الدَّاخِلَةِ فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الْإِيمَانَ بِالْمَوْتِ الَّذِي هُوَ مَصِيرُ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الِانْتِقَالِ إِلَىٰ الْآخِرَةِ، فَالْمَوْتُ حَقٌّ، وَهُوَ مُتَحَتِّمٌ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

---

(١) «لِسَانُ الْعَرَبِ»: (٣/ ٣٨٩)، مَادَّةُ: (لحد).

(٢) «لِسَانُ الْعَرَبِ»: (٩/ ٨٣)، مَادَّةُ: (حتف).

فَالْمَوْتُ حَقٌّ، وَهُوَ مَصِيرُ كُلِّ حَيٍّ، وَمَنْ جَاءَ وَقْتُ وَفَاتِهِ أَوْ سَاعَةُ مَوْتِهِ بِأَيِّ حَتْفٍ بِأَيِّ شَكْلٍ مِنْ أَشْكَالِ الْمَوْتِ؛ مَاتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ، أَوْ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ غَرَقًا، أَوْ حَرْقًا، أَوْ بِأَيِّ شَكْلٍ مِنَ الْأَشْكَالِ؛ فَإِنَّهُ يَمُوتُ بِأَجَلِهِ، وَتَنْتَهِي حَيَاتُهُ، وَيَفْقِدُهُ النَّاسُ بِهَذَا الْقَدَرِ الْمَقْدُورِ الَّذِي قَدَّرَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَلَيْهِ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ الَّذِي حَدَّدَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- لِوَفَاتِهِ لَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ لَحْظَةً، وَلَا يَتَقَدَّمُ عَنْهُ لَحْظَةً: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١].

فَهَذَا الْمَصِيرُ وَهَذَا الْأَجَلُ الْمَحْتُومُ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ، وَهُوَ قَضَاءٌ وَقَدَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا لَيْسَ لِمَخْلُوقٍ أَنْ يَفِرَّ مِنْهُ، وَهُوَ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مَلْجَأٌ مِنْهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه **قَالَ: قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ** رضي الله عنها: «اللَّهُمَّ أَمْتِعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ، وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ».

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ سَأَلْتِ اللهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ**

كُنْتِ سَأَلْتِ اللهَ أَنْ يُعِيذَكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ أَوْ عَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا لَكِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(١).

الْمَوْتُ ضِدُّ الْحَيَاةِ وَنَقِيضُهَا، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(٢) فِي تَعْرِيفِهِ: «الْمَوْتُ لَيْسَ بِعَدَمٍ مَحَضٍ، وَلَا فَنَاءٍ صِرْفٍ، وَإِنَّمَا هُوَ انْقِطَاعُ تَعَلُّقِ الرُّوحِ بِالْبَدَنِ وَمُفَارَقَتُهُ وَحَيْلُولَةٌ بَيْنَهُمَا، وَتَبَدُّلُ حَالٍ، وَانْتِقَالٌ مِنْ دَارٍ إِلَىٰ دَارٍ»(٣).

الْمَوْتُ يَأْتِي فَجْأَةً، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَأَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ أَنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ لَهُ سِنٌّ مَعْلُومٌ، وَلَا زَمَنٌ مَعْلُومٌ، وَلَا مَرَضٌ مَعْلُومٌ، وَذَلِكَ لِيَكُونَ الْمَرْءُ عَلَىٰ أُهْبَةٍ مِنْ ذَلِكَ مُسْتَعِدًّا لِذَلِكَ».

❀❀❀

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْقَدَرِ: بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْآجَالَ وَالْأَرْزَاقَ وَغَيْرَهَا لَا تَزِيدُ وَلَا تَنْقُصُ...، (٤/ ٢٠٥١، رقم ٢٦٦٣).

(٢) «**التذكرة بأحوال الموتىٰ**»: (ص١٢٤).

(٣) «**الجامع لأحكام القرآن**»: (٧/ ٣٧٧).

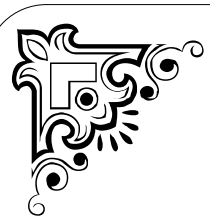

مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ:
الْإِيمَانُ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ وَعَذَابِهِ

وَفِتْنَـةُ الْقَبْـرِ حَـقٌّ وَالْعَـذَابُ بِـهِ لِكَـافِرٍ، وَنَعِـيمٌ لِلْأُلَـىٰ سَـعِدُوا

فِي هَذَا الْبَيْتِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَهُ وَنَعِيمَهُ حَقٌّ، وَأَنَّهَا مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ، وَالَّتِي يَجِبُ عَلَيْنَا الْإِيمَانُ بِهَا.

قَالَ الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَنُؤْمِنُ بِمَلَكِ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِ الْعَالَمِينَ، وَنُؤْمِنُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ أَهْلًا، وَعَنْ سُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ فِي قَبْرِهِ عَنْ رَبِّهِ وَدِينِهِ وَنَبِيِّهِ عَلَىٰ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَالْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النِّيرَانِ»(١).

فَالْمَوْتُ حَقٌّ، وَفِتْنَةُ الْقَبْرِ وَعَذَابُهُ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ، وَقَدْ أَشَارَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ فَقَالَ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣].

---

(١) «العقيدة الطحاوية» مع «الشرح»: (٢/ ٥٦١).

قَالَ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ أَيْ: إِلَيْهِمْ بِالضَّرْبِ وَالنَّكَالِ حَتَّىٰ تَخْرُجَ أَنْفُسُهُمْ مِنْ أَجْسَامِهِمْ، وَلِهَذَا يَقُولُونَ لَهُمْ: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾[1]؛ ذَلِكَ أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا احْتُضِرَ بَشَّرَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالْعَذَابِ وَالنَّكَالِ، وَالسَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ، وَالْجَحِيمِ وَالْحَمِيمِ، وَغَضَبِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَتَتَفَرَّقُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَتَأْبَىٰ الْخُرُوجَ، فَتَضْرِبُهُمُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّىٰ تَخْرُجَ أَرْوَاحُهُمْ مِنْ أَجْسَادِهِمْ قَائِلِينَ: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٩٣].

«وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنَ الْآيَةِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ يُفْعَلُ بِهِ هَذَا وَهُوَ مُحْتَضَرٌ بَيْنَ ظَهْرانَيْ أَهْلِهِ كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ، ذَكَرِهِمْ وَأُنْثَاهُمْ، وَهُمْ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَسْمَعُونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ التَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ، وَلَا يَدْرُونَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ الضَّرْبِ غَيْرَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ مُجَرَّدَ احْتِضَارِهِ وَسِيَاقِ نَفْسِهِ لَا يَعْلَمُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا يُقَاسِي مِنَ الشَّدَائِدِ، فَلَأَنْ يُفْعَلَ بِهِ فِي قَبْرِهِ ذَلِكَ وَأَعْظَمُ منه وَلَا يَعْلَمُهُ مَنْ كَشَفَ عَنْهُ أَوْلَىٰ وَأَظْهَرُ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَطَّلِعُوا عَلَىٰ مَا يَنَالُهُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ؛ فَكَيْفَ وَقَدِ انْتَقَلَ إِلَىٰ عَالَمٍ غَيْرِ عَالَمِهِمْ، وَدَارٍ غَيْرِ دَارِهِمْ؟!!»[2].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم»: (٧/ ٣٢١).

(٢) «معارج القبول»: (٢/ ٧١٨).

هَذِهِ الْآيَةُ وَاضِحَةٌ فِي ثُبُوتِ عَذَابِ الْقَبْرِ؛ فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا قَرَّرَ أَنَّ آلَ فِرْعَوْنَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ النَّارِ غُدُوًّا وَعَشِيًّا، وَهَذَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «الْجُمْهُورُ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الْعَرْضَ فِي الْبَرْزَخِ، وَهُوَ حُجَّةٌ فِي تَثْبِيتِ عَذَابِ الْقَبْرِ»(١).

وَمِنَ الْإِرْشَادَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الْوَاضِحَةِ وَالْإِشَارَاتِ اللَّائِحَةِ عَلَىٰ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٢٧].

أَمَّا نُصُوصُ السُّنَّةِ فِي إِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ فَقَدْ بَلَغَتْ مَبْلَغَ التَّوَاتُرِ؛ إِذْ رَوَاهَا أَئِمَّةُ السُّنَّةِ وَحَمَلَةُ الْحَدِيثِ وَنُقَّادُهُ، وَأَهْلُ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ عَنِ الْجَمِّ الْغَفِيرِ وَالْجَمْعِ الْكَثِيرِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ الَّذِي يَرْوِيهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ، ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾**»(٢).

---

(١) «**الجامع لأحكام القرآن**»: (١٥/ ٣١٨ - ٣١٩).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الجَنَائِزِ: بَابُ مَا جَاءَ فِي عَذَابِ القَبْرِ، (٣/ ٢٣١ - ٢٣٢، رقم ١٣٦٩)، واللفظ له، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْجَنَّةِ: بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ...، (٤/ ٢٢٠١، رقم ٢٨٧١).

وَمِنْ ذَلِكَ الْحَدِيثُ الَّذِي يَرْوِيهِ أَنَسٌ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**العَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وتُوُلِّيَ وذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حتَّىٰ إِنَّه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ، فأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ له: ما كُنْتَ تَقُولُ فِي هذا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟**

فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّه عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ.

فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَىٰ مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَيَرَاهُما جَمِيعًا، وأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ!

فيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»(١). (٢).

فَهَذَا وَاضِحٌ جِدًّا فِي نَعِيمِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «صَحِيحِهِ».

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَبْدَأُ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَوْتِ وبِهِ، ثُمَّ مَا يَلِي ذَلِكَ مِنَ الْقَبْرِ وَالْحَيَاةِ الْبَرْزَخِيَّةِ إِلَىٰ أَنْ يَسْتَقِرَّ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الجَنَائِزِ: بَابٌ المَيِّتُ يَسْمَعُ خَفْقَ النِّعَالِ، (٣/ ٣٠٥، رقم ١٣٣٨)، واللفظ له، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْجَنَّةِ:، (٤/ ٢٢٠٠ - ٢٢٠١، رقم ٢٨٧٠).

(٢) «**شرح الجوهرة الفريدة**»: (ص١٦٩ - ١٧٣)، بتصرف يسير.

الْبَرْزَخُ فِي اللُّغَةِ -أَيْ: **فِي كَلَامِ الْعَرَبِ**-: هُوَ الْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ [الفرقان: ٥٣]؛ أَيْ حَاجِزًا(١).

وَأَمَّا الْبَرْزَخُ فِي الشَّرْعِ: فَهُوَ الدَّارُ الَّتِي تَعْقُبُ الْمَوْتَ إِلَىٰ الْبَعْثِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

قَالَ مُجَاهِدٌ: «مَا بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْبَعْثِ»(٢).

فَمَا بَيْنَ مَوْتِ الْعَبْدِ إِلَىٰ أَنْ يَبْعَثَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَرْزَخُهُ: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

قِيلَ لِلشَّعْبِيِّ: «مَاتَ فُلَانٌ».

قَالَ: «لَيْسَ هُوَ فِي دَارِ الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ؛ يَعْنِي فِي الْبَرْزَخِ»(٣)، وَهُوَ مَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَالْبَرْزَخُ: الْحَاجِزُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ، فَكذا الْبَرْزَخُ حَاجِزٌ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: «الْبَرْزَخُ هُوَ مَا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا الْبَرْزَخُ يُشْرِفُ أَهْلُهُ فِيهِ عَلَىٰ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»(١).

---

(١) «**لِسَانُ الْعَرَبِ**»: (٣/ ٨)، مَادَّةُ: (برزخ).

(٢) أخرجه هَنَّاد بن السَّرِي في «**الزهد**»: (١/ ١٩٥، رقم ٣١٤)، والطبري في «**جامع البيان**»: (١٨/ ٥٣)، وأبو نعيم في «**الحلية**»: (٣/ ٢٩٠)، بإسناد حسن.

وفي رواية بلفظ: «الْبَرْزَخُ: **الْحَاجِزُ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالرُّجُوعِ إِلَىٰ الدُّنْيَا**».

(٣) أخرجه هَنَّاد بن السَّرِي في «**الزهد**»: (١/ ١٩٥، رقم ٣١٥)، بإسناد حسن، بلفظ: «**لَيْسَ هُوَ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ هُوَ فِي الْبَرْزَخِ**».

(١) «**الروح**»: (ص٧٣)، و«**القيامة الصغرىٰ**» للأشقر: (ص١٣).

الْقَبْرِ: هُوَ مَدْفَنُ الْإِنْسَانِ، جَمْعُهُ قُبُورٌ، وَالْمَقْبَرَةُ وَالْمَقْبُرَةُ -بِفَتْحِ الْبَاءِ وَضَمِّهَا- مَوْضِعُ الْقُبُورِ، وَالْمَقْبُرُ مَوْضِعُ الْقَبْرِ(١).

الْقَبْرُ فِيهِ فِتْنَةٌ -نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُسَلِّمَنَا وَأَنْ يُعَافِيَنَا-.

وَالْفِتْنَةُ تُطْلَقُ عَلَىٰ عِدَّةِ مَعَانٍ؛ مِنْهَا الِاخْتِبَارُ وَالِامْتِحَانُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٧].

وَتُطْلَقُ الْفِتْنَةُ عَلَىٰ الشِّرْكِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وَتُطْلَقُ الْفِتْنَةُ عَلَىٰ الْإِحْرَاقِ وَالتَّعْذِيبِ بِالنَّارِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ [البروج: ١٠].

وَفِتْنَةُ الْقَبْرِ: سُؤَالُ الْمَلَكَيْنِ الْمَيِّتَ بَعْدَ دَفْنِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ.

فَهَذِهِ هِيَ الثَّلَاثَةُ الْأُصُولُ، وَهِيَ الْأَسْئِلَةُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يُسْأَلُهَا الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي الْقَبْرِ.

فَالْمُرَادُ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ فِي الشَّرْعِ الِامْتِحَانُ وَالِاخْتِبَارُ لِلْمَيِّتِ، يَقُومُ بِسُؤَالِ الْمَيِّتِ مَلَكَانِ يَسْأَلَانِهِ عَنْ رَبِّهِ، وَعَنْ دِينِهِ، وَعَنْ نَبِيِّهِ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: «فَالْفِتْنَةُ هَا هُنَا مَعْنَاهَا الِابْتِلَاءُ وَالِامْتِحَانُ وَالِاخْتِبَارُ -يَعْنِي: فِي فِتْنَةِ الْقَبْرِ- وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ ﷻ لِمُوسَىٰ: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]؛ أَيِ ابْتَلَيْنَاكَ ابْتِلَاءً، وَاخْتَبَرْنَاكَ اخْتِبَارًا»(١).

---

(١) «**لِسَانُ الْعَرَبِ**»: (٥/ ٦٨)، مَادَّةُ: (قبر).

(١) «**التمهيد**»: (٢٢/ ٢٤٨ - ٢٤٩).

دَلَّ عَلَىٰ ثُبُوتِ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَالْإِجْمَاعُ.

هُنَاكَ مَنْ يُنْكِرُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَنَعِيمَ الْقَبْرِ وَعَذَابَهُ، ويَقُولُونَ لَمْ تَثْبُتْ بِنَصٍّ مُتَوَاتِرٍ، وَمَا جَاءَ مِنَ النُّصُوصِ الْمُتَوَاتِرَةِ فَهُوَ صَحِيحٌ غَيْرُ صَرِيحٍ، وَمَا جَاءَ مُصَرَّحًا بِهِ فِيهِ فَهُوَ صَرِيحٌ غَيْرُ صَحِيحٍ!!

وَعِنْدَهُمْ قَاعِدَةٌ عَجِيبَةٌ مِنْ عَبَثِ الْعُقُولِ، وَهِيَ أَنَّهُمْ لَا يَأْخُذُونَ بِأَحَادِيثِ الْآحَادِ فِي الْعَقِيدَةِ؛ فَأَهْدَرُوا جُمْلَةً وَافِيَةً مِنَ الْعَقَائِدِ الَّتِي ثَبَتَتْ بِأَحَادِيثِ الْآحَادِ[1]، وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ يَأْخُذُونَ بِأَحَادِيثِ الْآحَادِ فِي الْعَقِيدَةِ.

دَلَّ عَلَىٰ ثُبُوتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَتِهِ، سُؤَالُ الْمَلَائِكَةِ كَذَلِكَ.. دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَالْإِجْمَاعُ.

أَمَّا الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ فَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [إِبْرَاهِيمَ: ٢٧].

قَالَ الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: «التَّثْبِيتُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِذَا أَتَاهُ الْمَلَكَانِ فِي الْقَبْرِ فَقَالَا لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقَالَ رَبِّيَ اللهُ. فَقَالَا لَهُ: مَا دِينُكَ؟ قَالَ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ. فَقَالَا

---

(١) **قال عبد الكريم الخضير في شرحه علىٰ «النخبة»**: «ويكفي في رد هذه الدعوىٰ أول حديث في «صحيح البخاري» وهو «**إنما الأعمال بالنيات**» إنما يروىٰ من طريق عمر رضي الله عنه فقط، ولم يثبت إلا من طريق عمر عن النبي ﷺ ولا يروىٰ من طريق عمر إلا عن علقمة بن وقاص الليثي فقط، تفرد بروايته عن عمر، ولا يرويه عن علقمة إلا محمد بن إبراهيم التيمي، تفرد بروايته عن علقمة، ولم يروه عنه سوىٰ يحيىٰ بن سعيد الأنصاري تفرد به، ثم انتشر بعده حتىٰ وصلت طرقه المئات عن يحيىٰ بن سعيد رحمه الله».

لَهُ: مَنْ نَبِيُّكَ؟ قَالَ: نَبِيي مُحَمَّدٌ ﷺ، فذَلِكَ التَّثْبِيتُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»(١). وَقَدْ أَخْرَجَ هَذَا الْأَثَرَ الطَّبَرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ».

فَبَيَّنَ الْبَرَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ التَّثْبِيتَ يَكُونُ عِنْدَ سُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ فِي الْقَبْرِ، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَىٰ ثُبُوتِ فِتْنَةِ الْقَبْرِ.

وَالْأَدِلَّةُ مِنَ السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ كَثِيرَةٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ -أَوْ قَالَ قُبِرَ أَحَدُكُمْ- أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟**». وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «**الزُّهْدِ**»: (ص٣٧٩، رقم ١٣٥٦)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «**الْمُصَنَّفِ**»: (٣/ ٥٣، رقم ١٢٠٤٨)، وَهَنَّادُ بْنُ السَّرِيُّ فِي «**الزُّهْدِ**»: (١/ ٢٠٨، رقم ٣٤٠)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «**جَامِعِ الْبَيَانِ**»: (١٣/ ٢١٤)، وَالْآجُرِّيُّ فِي «**الشَّرِيعَةِ**»: (٣/ ١٢٩٩ - ١٣٠٠، رقم ٨٦٧)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «**إِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ**»: (ص٢٨ - ٢٩، رقم ٣)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

وهو في الصحيحين مرفوعا بنحوه.

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: (٣/ ٣٧٥ - ٣٧٦، رقم ١٠٧١)، وقد تقدم تخريجه.

وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا: ابْنُ مَاجَهْ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الزُّهْدِ: بَابُ ذِكْرِ الْقَبْرِ وَالْبِلَىٰ، (٢/ ١٤٢٦ - ١٤٢٧، رقم ٤٢٦٨)، بنحوه.

قال الترمذي: «حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وقال: «وَفِي البَاب عَنْ عَلِيٍّ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَالبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ وَأَبِي أَيُّوبَ وَأَنَسٍ وَجَابِرٍ وَعَائِشَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ، كُلُّهُمْ رَوَوْا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي عَذَابِ القَبْرِ».

والحديث حسنه الألباني في «**السلسلة الصحيحة**»: (٣/ ٣٧٩، رقم ١٣٩١).

فَقَدْ عَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ وُقُوعَ فِتْنَةِ الْقَبْرِ بِوَضْعِ الْمَيِّتِ فِي الْقَبْرِ، فَفِتْنَةُ الْقَبْرِ مَشْرُوطَةٌ بِوَضْعِ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الْمَيِّتَ يُفْتَنُ فِي قَبْرِهِ.

وَعَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾؛ قَالَ: «**فِي الْقَبْرِ إِذَا قِيلَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ، وَمَا دِينُكَ، وَمَنْ نَبِيُّكَ؟**»(١).

فَقَدْ فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الْآيَةَ بِمَا يُبَيِّنُ صَرَاحَةً إِثْبَاتَ فِتْنَةِ الْقَبْرِ.

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما **أَنَّهَا قَالَتْ**: «أَتَيْتُ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ خَسَفَتِ الشَّمْسُ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ يُصَلُّونَ، وَإِذَا هِيَ قَائِمَةٌ تُصَلِّي.

فَقُلْتُ: «مَا لِلنَّاسِ؟».

فَأَشَارَتْ بِيَدِهَا نَحْوَ السَّمَاءِ، وَقَالَتْ: «سُبْحَانَ اللهِ!».

فَقُلْتُ: «آيَةٌ؟».

فَأَشَارَتْ: أَيْ نَعَمْ، فَقُمْتُ حَتَّىٰ تَجَلَّانِي الغَشْيُ، وَجَعَلْتُ أَصُبُّ فَوْقَ رَأْسِي مَاءً، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا، حَتَّىٰ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي القُبُورِ مِثْلَ -أَوْ قَرِيبًا مِنْ- فِتْنَةِ الدَّجَّالِ** -لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ، قَالَتْ:

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ: بَابُ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾، (٨/ ٣٧٨، رقم ٤٦٩٩)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: (٤/ ٢٢٠١، رقم ٢٨٧١)، واللفظ له، وقد تقدم.

أَسْمَاءُ- **يُؤْتَىٰ أَحَدُكُمْ فَيُقَالُ لَهُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوِ الْمُوقِنُ** -لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ، قَالَتْ: أَسْمَاءُ- **فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ، فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ صَالِحًا، فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوِ الْمُرْتَابُ** -لَا أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ- **فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»(١).

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ عِنْدَ شَرْحِ هَذَا الْحَدِيثِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: «إِنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ»؛ فَإِنَّهُ أَرَادَ فِتْنَةَ الْمَلَكَيْنِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ حِينَ يَسْأَلَانِ الْعَبْدَ: مَنْ رَبُّكَ، وَمَا دِينُكَ، وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَالْآثَارُ بِذَلِكَ مُتَوَاتِرَةٌ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهُمْ أَهْلُ الْحَدِيثِ والرَّأْيِ فِي أَحْكَامِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ كُلُّهُمْ مُجْمِعُونَ عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِذَلِكَ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَتَكَلَّفُونَ فِيهِ شَيْئًا، وَلَا يُنْكِرُهُ إِلَّا أَهْلُ الْبِدَعِ»(١).

فَأَحَادِيثُ فِتْنَةِ الْقَبْرِ مُتَوَاتِرَةٌ، وَقَدْ صَرَّحَ بِتَوَاتُرِهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ؛ مِنْهُمُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ، وَابْنُ تَيْمِيَّةَ(٢)، فَقَدْ قَالَ: «قَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَحَادِيثُ عَنِ النَّبِيِّ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ».

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الوُضُوءِ: بَابُ مَنْ لَمْ يَتَوَضَّأْ إِلَّا مِنَ الغَشْيِ المُثْقِلِ، (١/ ٢٨٨ - ٢٨٩، رقم ١٨٤)، واللفظ له، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْكُسُوفِ: بَابُ مَا عُرِضَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ...، (٢/ ٦٢٤، رقم ٩٠٥).

(١) «**الِاسْتِذْكَارُ**»: (٢/ ٤٢٣).

(٢) «**مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ**»: (٤/ ٢٥٧).

فَجَاءَتِ النُّصُوصُ -كَمَا مَرَّ- فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾، وَكَذَا الْأَحَادِيثُ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ، وَهِيَ مُتَوَاتِرَةٌ، وَكَذَلِكَ الْإِجْمَاعُ؛ جَاءَ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي إِثْبَاتِ فِتْنَةِ الْقَبْرِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي زَمَنِينَ(١): «وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُفْتَنُ فِي قُبُورِهَا».

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ(٢): «وَأَجْمَعُوا عَلَىٰ أَنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ بَعْدَ أَنْ يُحْيَوْنَ فِيهَا، وَيُسْأَلُونَ».

وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ التَّيْمِيُّ، هُوَ الْأَصْبَهَانِيُّ صَاحِبُ الْحُجَّةِ(٣): «فَصْلٌ فِي مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ»، قَالَ: «وَيُؤْمِنُونَ بِمَلَائِكَةِ اللهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَبِسُؤَالِ الْقَبْرِ».

فَهَذَا حِكَايَةٌ لِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ فِتْنَةِ الْقَبْرِ.

وَأَمَّا أَقْوَالُ أَئِمَّةِ السَّلَفِ فِي إِثْبَاتِ فِتْنَةِ الْقَبْرِ فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «وَالْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُفْتَنُ فِي قُبُورِهَا، وَتُسْأَلُ عَنِ الْإِيمَانِ

---

(١) «**أُصُولُ السُّنَّةِ**»: (ص١٥٠).

(٢) «**رسالة إلىٰ أهل الثغر**»: الإجماع التاسع والثلاثون: (ص١٥٩).

(٣) «**الْحُجَّةُ فِي بَيَانِ الْمَحَجَّةِ**»: (٢/ ٤٠٦).

وَالْإِسْلَامِ، وَمَنْ رَبُّهُ، وَمَنْ نَبِيُّهُ، وَيَأْتِيهِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ كَيْفَ شَاءَ اللهُ ﷻ وَكَيْفَ أَرَادَ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِهِ»(١).

وَقَالَ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ(٢): «وَفِي الْمُسَاءَلَةِ أَخْبَارٌ ثَابِتَةٌ، وَالْأَخْبَارُ الَّتِي فِي الْمُسَاءَلَةِ فِي الْقَبْرِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ أَخْبَارٌ ثَابِتَةٌ تُوجِبُ الْعِلْمَ، فَنَرْغَبُ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُثَبِّتَنَا فِي قُبُورِنَا عِنْدَ مَسْأَلَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَأَنْ يُثَبِّتَنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ»(٣).

قَالَ ابْنُ مَنْدَه(٤): «ذِكْرُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِالسُّؤَالِ فِي الْقَبْرِ»(٥).

---

(١) أَخْرَجَهُ اللَّالَكَائِيُّ فِي «**شَرْحِ أُصُولِ الْاعْتِقَادِ**»: اعْتِقَادُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ (رض)، (١/ ١٧٥ - ١٧٨، رقم ٣١٧)، وَابْنُ أَبِي يَعْلَىٰ فِي «**طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ**»: (١/ ٢٤١ - ٢٤٢، تَرْجَمَةُ ٣٣٨)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «**مَنَاقِبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ**»: (ص٢٢٩ - ٢٣٢).

(٢) هُوَ الْحَافِظُ الْكَبِيرُ الْإِمَامُ الْبَارِعُ: أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الضَّحَّاكِ بْنِ مَخْلَدٍ الشَّيْبَانِيُّ الْبَصْرِيُّ، أَبُو بَكْرٍ الْمَعْرُوفُ بـ(بْنِ أَبِي عَاصِمٍ)، وُلد فِي شَوَّالٍ سَنَةَ سِتٍّ وَمائَتَيْنِ، قَدِمَ أَصْبَهَان عَلَىٰ قَضَائِهَا، وَنَشَرَ بِهَا عِلمه، كَانَ مِنَ الصِّيَانَة وَالعِفَّة بِمَحَلٍّ عَجِيْب، وَكَانَ ثِقَةً نبيلًا مُعَمَّرًا، مَاتَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِيْنَ وَمِائَتَيْنِ.

انظر: «**السير**»: (١٣/ ٤٣٠، ترجمة ٢١٥).

(٣) «**السنة**»: (٢/ ٤١٩).

(٤) هُوَ الإِمَامُ الكَبِيْرُ الحَافِظُ المُجَوِّدُ: مُحَمَّدُ بنُ يَحْيَىٰ بنِ مَنْدَةَ وَاسم مَنْدَةَ: إِبْرَاهِيْمُ بنُ الوَلِيْدِ بنِ سندَة العَبْدِيُّ الأَصْبَهَانِيّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الْمَعْرُوفُ بـ(بْنِ مَنْدَةَ)، وُلِدَ فِي حُدُوْدِ العِشْرِيْنَ وَمائَتَيْنِ، وَمَاتَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ إِحْدَىٰ وَثَلَاثِ مائَةٍ.

انظر: «**السير**»: (١٤/ ١٨٨، ترجمة ١٠٧).

(٥) «**الإيمان**»: (٢/ ٩٦٢).

وَقَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيُّ(١): «وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ»(٢).

وَقَالَ الْبَرْبَهَارِيُّ(٣): «وَالْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ»(٤).

وَقَالَ الْآجُرِّيُّ: «بَابُ ذِكْرِ الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ بِمَسْأَلَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ»(٥).

فَهَذِهِ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةُ، وَإِجْمَاعُ الْأُمَّةِ، وَأَقْوَالُ الْأَئِمَّةِ؛ كُلُّهَا فِي إِثْبَاتِ هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ، وَهُوَ إِثْبَاتُ فِتْنَةِ الْقَبْرِ.

وَأَمَّا صِفَةُ فِتْنَةِ الْقَبْرِ؛ فَإِنَّ الْمَيِّتَ إِذَا دُفِنَ، وَعَادَتْ إِلَيْهِ رُوحُهُ أَتَاهُ مَلَكَانَ فَيُجْلِسَانِهِ وَيَسْأَلَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ، وَمَا دِينُكَ، وَمَنْ نَبِيُّكَ؟

---

(١) هُوَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ القُدْوَةُ الفَقِيْهُ عَالِمُ أَهْلِ المَغْرِبِ: عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَبِي زَيْدٍ القَيْرَوَانِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ المَالِكِيُّ، وَيُقَالُ لَهُ: مَالِكٌ الصَّغِيْرُ، وَكَانَ أَحَدَ مَنْ بَرَّزَ فِي العِلْمِ وَالعملِ، مَاتَ لِنِصْفِ شَعْبَانَ، سَنَةَ سِتٍّ وَثَمَانِيْنَ وَثَلَاثِ مائَةٍ.

انظر: «**السير**»: (١٧/ ١٠، ترجمة ٤).

(٢) «**متن الرسالة**» مع «**الشرح**» للتنوخي: (١/ ٥٨).

(٣) هُوَ شَيْخُ الحَنَابِلَةِ القُدْوَةُ الفَقِيْهُ الإِمَامُ: الحَسَنُ بنُ عَلِيِّ بنِ خَلَفٍ البَرْبهَارِيُّ، أَبُو مُحَمَّدٍ، كَانَ قوَّالًا بِالْحَقِّ، دَاعِيَةً إِلَىٰ الأَثر، لَا يَخَافُ فِي الله لومَةَ لَائِم، تُوُفِّيَ مستترًا فِي رَجَبٍ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِيْنَ وَثَلَاثِ مائَةٍ.

انظر: «**السير**»: (١٥/ ٩٠، ترجمة ٥٢).

(٤) «**شرح السنة**»: (ص٧٢).

(٥) «**الشريعة**»: (٣/ ١٢٨٨).

فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ، وَنَبِيي مُحَمَّدٌ -عَلَيْهِ أَزْكَىٰ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ-، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: هَا هَا لَا أَدْرِي.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُثَبِّتَنَا عِنْدَ سُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ أَنْكَرَ إِقْعَادَ الْمَيِّتِ مُطْلَقًا، وَشُبْهَتُهُمْ شُبْهَةٌ عَقْلِيَّةٌ، وَهِيَ أَنَّ الْمَيِّتَ قَدْ أَحَاطَ بِبَدَنِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالتُّرَابِ مَا لَا يُمْكِنُ مَعَهُ الْقُعُودُ.

وَالَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّ الْمَيِّتَ يُجْلَسُ وَيُقْعَدُ بِحَسَبِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: «أَجْلَسَاهُ، أَقْعَدَاهُ».

فِتْنَةُ الْقَبْرِ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ، وَالسُّنَّةِ، وَالْإِجْمَاعِ، وَأَمَّا نَعِيمُ الْقَبْرِ وَعَذَابُهُ فَتَعْرِيفُهُ أَوَّلًا: هُوَ اسْمٌ لِنَعِيمِ الْبَرْزَخِ وَعَذَابِهِ، وَهُوَ نَتِيجَةٌ لِفَتْنَةِ الْقَبْرِ، فَنَعِيمُ الْقَبْرِ لِلْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ، وَعَذَابُهُ لِلظَّالِمِينَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ.

وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ فِي نَعِيمِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ، كَمَا تَوَاتَرَتْ فِي فِتْنَتِهِ -أَيْ فِي فِتْنَةِ الْقَبْرِ فِي سُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ: مَنْ رَبُّكَ، وَمَا دِينُكَ، وَمَنْ نَبِيُّكَ- كَذَلِكَ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ فِي نَعِيمِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ.

قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ: «لَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي ثُبُوتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ لِمَنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَسُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ، فَيَجِبُ اعْتِقَادُ ثُبُوتِ ذَلِكَ، وَالْإِيمَانُ بِهِ»[1].

---

(١) «**شرح الطحاوية**»: (٢/ ٥٧٨).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «وَمَذْهَبُ سَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ وَسَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ إِثْبَاتُ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَىٰ، وَقِيَامِ النَّاسِ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ فِي الْبَرْزَخِ مَا بَيْنَ الْمَوْتِ إِلَىٰ الْقِيَامَةِ، هَذَا قَوْلُ السَّلَفِ قَاطِبَةً وَأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَإِنَّمَا أَنْكَرَ ذَلِكَ فِي الْبَرْزَخِ قَلِيلٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ»(١).

وَهُمْ مُتَوَافِرُونَ فِي هَذَا الْعَصْرِ، كَتَبُوا فِي ذَلِكَ بَعْضَ الْكُتُبِ الْحَدِيثَةِ يُنْكِرُونَ فِيهَا عَذَابَ الْقَبْرِ وَنَعِيمَهُ، بَلْ أَذَاعُوا ذَلِكَ وَنَشَرُوهُ وَبَثُّوهُ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَصِلُ إِلَىٰ آمَادٍ بَعِيدَةٍ، وَهَؤُلَاءِ مُتَنَاقِضُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ، مُتَنَاقِضُونَ فِي كَلَامِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ يَدْعُونَ الْخَلْقَ إِلَىٰ تَحْجِيرِ الدَّعْوَةِ وَالْكَلَامِ فِي الدِّينِ عَلَىٰ أَشْخَاصٍ بِأَعْيَانِهِمْ لَهُمْ صِفَاتٌ مَعْلُومَةٌ، وَطَوَائِفَ مُعَيَّنَةٍ يُحَجِّرُونَ الدَّعْوَةَ عَلَيْهِمْ، فَيَقُولُونَ: لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي الدِّينِ إِلَّا مَنْ كَانَ مَأْذُونًا لَهُ، وَكَانَ مُخْتَصًّا بِذَلِكَ. لَا بَأْسَ، فَلْنُطَبِّقْ هَذَا عَلَيْهِمْ!!

وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ حَتَّىٰ فِي الْعَقَائِدِ وَالْغَيْبِيَّاتِ، وَيَهْرِفُونَ بِمَا لَا يَعْرِفُونَ لَيْسَتْ عِنْدَهُمْ حُدُودٌ وَلَا مَوَانِعُ، يَتَكَلَّمُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ فِي رَبِّ الْعِزَّةِ، وَيَأْتُونَ بِأَقْوَامٍ فُحْشُهُمْ ظَاهِرٌ، وَهَيْئَاتُهُمْ كَالِحَةٌ؛ لِأَنَّهَا بَعِيدَةٌ عَنِ الِالْتِزَامِ بَلْ عَنْ أَدْنَىٰ الِالْتِزَامِ بِشَرِيعَةِ اللهِ جَلَّوَعَلَا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ!!

هَؤُلَاءِ تَدَّعِي الْوَاحِدَةُ مِنْهُنَّ أَنَّهَا رَأَتِ اللهَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وَكَلَّمَتْهُ وَكَلَّمَهَا، وَاعْتَرَضَتْ عِنْدَهُ عَلَىٰ إِرْسَالِ الرُّسُلِ!!

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ»: (٤/ ٢٦٢).

تَقُولُ هَذِهِ الْكَاذِبَةُ إِنَّهَا قَالَتْ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -كَمَا تَزْعُمُ- أَنَّ هَؤُلَاءِ الرُّسُلَ فِي نَفْسِهَا مِنْهُمْ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُمْ يَأْتُونَ أَحْيَانًا بِأُمُورٍ هِيَ لَا تُثْبِتُهَا لَهُمْ؛ لأَنَّ مَا تَعْرِفُهُ عَنِ اللهِ رَبِّنَا وَرَبِّهِمْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصْدُرَ مِنْهُ إِلَيْهِمْ مِثْلُ هَذِهِ الْأُمُورِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُبَلِّغُوهَا لِلْخَلْقِ فِي الْأَرْضِ.

هَؤُلَاءِ يَتَكَلَّمُونَ فِي الدِّينِ، بَلْ فِي أَكْبَرِ أُمُورِ الدِّينِ، وَهُمْ غَيْرُ مَأْذُونٍ لَهُمْ بِالْكَلَامِ؛ فَلِمَاذَا تَكِيلُونَ بِكَيْلَيْنِ؟!! وَلِمَاذَا يَتَعَلَّمُونَ وَيُعَلِّمُونَ النَّاسَ هَذِهِ الْجَرَاءَةَ عَلَىٰ دِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا؟!!

إِذَا سَقَطَتْ هَيْبَةُ الدِّينِ وَهَيْبَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ عِنْدَ طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّي إِلَىٰ الشَّرِّ الْعَظِيمِ وَالْخَطَرِ الْجَسِيمِ -نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ-.

إِذَنِ؛ الْكَلَامُ عَنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَدْعُو إِلَيْهَا حَاجَاتُ الْعَصْرِ؛ لِأَنَّ هُنَالِكَ مَنْ يُرَوِّجُ بِأَنَّهُ لَا نَعِيمَ وَلَا عَذَابَ فِي الْقَبْرِ، وَلَا فِتْنَةَ وَلَا سُؤَالَ وَلَا شَيْءَ إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَكَلَّمُ بِهِ الزَّائِغُونَ الْمُنْحَرِفُونَ!!

وَأَمَّا نَعِيمُ الْقَبْرِ وَعَذَابُهُ فِي الْقُرْآنِ، فَنَعِيمُ الْقَبْرِ وَعَذَابُهُ فِي الْبَرْزَخِ مَذْكُورٌ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ؛ حَيْثُ وَرَدَتْ إِشَارَاتٌ فِي الْقُرْآنِ تَدُلُّ عَلَىٰ وُقُوعِهِ.

وَقَدْ تَرْجَمَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللهُ[1] فِي «كِتَابِ الْجَنَائِزِ» لِعَذَابِ الْقَبْرِ فَقَالَ: «بَابُ مَا جَاءَ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ»، ثُمَّ سَاقَ فِي التَّرْجَمَةِ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣].

---

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ»: (٣/ ٢٣١، باب ٨٦).

وَسَاقَ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١].

وَكَذَا قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦]».

الْآيَةُ الْأُولَىٰ الَّتِي سَاقَهَا الْبُخَارِيُّ إِنَّمَا هِيَ فِي تَعْذِيبِ الْمَلَائِكَةِ الْكُفَّارَ فِي حَالِ الِاحْتِضَارِ.

وَالْآيَةُ الثَّانِيَةُ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ هُنَاكَ عَذَابَيْنِ سَيُصِيبَانِ الْمُنَافِقِينَ قَبْلَ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ الْعَذَابُ الْأَوَّلُ مَا يُصِيبُهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا إِمَّا بِعِقَابِ مَنْ عِنْدَهُ وَإِمَّا بِأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، وَالْعَذَابُ الثَّانِي عَذَابُ الْقَبْرِ.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾؛ يَعْنِي: «عَذَابَ الدُّنْيَا، وَعَذَابَ الْقَبْرِ»[(١)].

وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: «وَالْأَغْلَبُ مِنْ إِحْدَىٰ الْمَرَّتَيْنِ أَنَّهَا فِي الْقَبْرِ»[(٢)]، وَالْأُخْرَىٰ تَحْتَمِلُ أَحَدَ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنَ الْجُوعِ أَوِ السَّبْيِ أَوِ الْقَتْلِ أَوِ الْإِذْلَالِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «**التفسير**»: (٢/ ١٦٢، رقم ١١٢١)، والطبري في «**جامع البيان**»: (١١/ ١١)، بإسناد صحيح.

(٢) «**جامع البيان**»: (١١/ ١٢).

الْآيَةُ الثَّالِثَةُ حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ لِأَهْلِ السُّنَّةِ الَّذِينَ أَثْبَتُوا عَذَابَ الْقَبْرِ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- قَرَّرَ أَنَّ آلَ فِرْعَوْنَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ النَّارِ غُدُوًّا وَعَشِيًّا، وَهَذَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهُ ﷻ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «الْجُمْهُورُ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الْعَرْضَ يَكُونُ فِي الْبَرْزَخِ، وَهُوَ حُجَّةٌ فِي تَثْبِيتِ عَذَابِ الْقَبْرِ»(١).

هُنَاكَ آيَاتٌ أُخْرَىٰ تُشِيرُ إِلَىٰ عَذَابِ الْقَبْرِ سِوَىٰ مَا ذُكِرَ.

الْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ يَكُونُ بِلَا كَيْفِيَّةٍ.

قَالَ ابْنُ أَبِي الْعِزِّ بَعْدَ أَنْ تَكَلَّمَ عَنْ تَوَاتُرِ الْأَخْبَارِ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ: «فَيَجِبُ اعْتِقَادُ ثُبُوتِ ذَلِكَ، وَالْإِيمَانُ بِهِ، وَلَا نَتَكَلَّمُ فِي كَيْفِيَّتِهِ؛ إِذْ لَيْسَ لِلْعَقْلِ وُقُوفٌ عَلَىٰ كَيْفِيَّتِهِ؛ لِكَوْنِهِ لَا عَهْدَ لَهُ بِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ -فَالْحَيَاةُ الْبَرْزَخِيَّةُ لَهَا قَانُونٌ يَحْكُمُهَا كَمَا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَهَا قَانُونٌ يَحْكُمُهَا-، وَالشَّرْعُ لَا يَأْتِي بِمَا تُحِيلُهُ الْعُقُولُ(٢)، لَكِنَّهُ قَدْ يَأْتِي بِمَا تَحَارُ فِيهِ الْعُقُولُ؛ فَإِنَّ عَوْدَةَ(٣) الرُّوحِ لِلْجَسَدِ لَيْسَتْ(٤) عَلَىٰ الْوَجْهِ الْمَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا، بَلْ تُعَادُ الرُّوحُ لِلْجَسَدِ إِعَادَةً غَيْرَ الْإِعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ فِي الدُّنْيَا»(٥).

---

(١) «**الجامع لأحكام القرآن**»: (١٥/ ٣١٨ - ٣١٩)، و«**القيامة الصغرىٰ**»: (ص٤٩-٥٠).

(٢) في الشرح: [يُحِيلُهُ الْمَعْقُولُ].

(٣) في الشرح: [عَوْدَ].

(٤) في الشرح: [لَيْسَ]

(٥) «**شرح الطحاوية**»: (٢/ ٥٧٨).

يَعْنِي: فِي الْقَبْرِ إِذَا مَا قُبِرَ، وَأُعِيدَتْ إِلَيْهِ رُوحُهُ؛ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ رُوحُهُ كَمَا كَانَتْ رُوحُهُ مَعَ جَسَدِهِ فِي حَالِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

إِذَنْ؛ كَيْفِيَّةُ الْعَذَابِ فِي الْقَبْرِ وَكَيْفِيَّةُ النَّعِيمِ فِيهِ لَا نَعْلَمُهَا، وَلَا نَتَكَلَّفُ عِلْمَهَا، بَلْ مَرَدُّ ذَلِكَ لِأَنَّهُ غَيْبٌ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، لَكِنْ نُؤْمِنُ بِهِ، فَيَكُونُ الْمَرْءُ أَمَامَ الْقَبْرِ لَا يَرَىٰ شَيْئًا وَلَا يُبْصِرُهُ وَلَا يَسْمَعُهُ، وَهُوَ مُوقِنٌ بِأَنَّ هُنَالِكَ فِي الْقَبْرِ نَعِيمًا أَوْ عَذَابًا.

وَعَذَابُ الْقَبْرِ وَنَعِيمُهُ يَكُونُ عَلَىٰ الْبَدَنِ وَالرُّوحِ مَعًا، قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «مَذْهَبُ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا مَاتَ يَكُونُ فِي نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ، وَأَنَّ ذَلِكَ يَحْصُلُ لِرُوحِهِ وَلِبَدَنِهِ، وَأَنَّ الرُّوحَ تَبْقَىٰ بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَدَنِ مُنَعَّمَةً أَوْ مُعَذَّبَةً، وَأَنَّهَا تَتَّصِلُ بِالْبَدَنِ أَحْيَانًا فَيَحْصُلُ لَهُ مَعَهَا النَّعِيمُ وَالْعَذَابُ»(١).

قَالَ: «الْعَذَابُ وَالنَّعِيمُ عَلَىٰ النَّفْسِ، وَالْبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ تُنَعَّمُ النَّفْسُ وَتُعَذَّبُ مُنْفَرِدَةً عَنِ الْبَدَنِ، وَتُعَذَّبُ مُتَّصِلَةً بِالْبَدَنِ، وَالْبَدَنُ مُتَّصِلٌ بِهَا فَيَكُونُ النَّعِيمُ وَالْعَذَابُ عَلَيْهِمَا فِي هَذِهِ الْحَالِ مُجْتَمَعَيْنِ، كَمَا يَكُونُ لِلرُّوحِ مُنْفَرِدَةً عَنِ الْبَدَنِ»(١).

*** هَلْ عَذَابُ الْقَبْرِ دَائِمٌ أَوْ مُنْقَطِعٌ؟**

عَذَابُ الْقَبْرِ عَلَىٰ نَوْعَيْنِ:

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ»: (٤/ ٢٨٤).

(١) «مجموع الفتاوىٰ»: (٤/ ٢٨٢).

أَحَدُهُمَا دَائِمٌ، وَالثَّانِي أَنَّهُ إِلَىٰ مُدَّةٍ ثُمَّ يَنْقَطِعُ؛ الدَّائِمُ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾.

وَكَذَلِكَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ فِي قِصَّةِ سُؤَالِ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ: «**ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَىٰ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَىٰ مَقْعَدِهِ فِيهَا حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**»(١).

النَّوْعُ الثَّانِي: أَنَّهُ إِلَىٰ مُدَّةٍ ثُمَّ يَنْقَطِعُ، وَهُوَ عَذَابُ بَعْضِ الْعُصَاةِ الَّذِينَ خَفَّتْ جَرَائِمُهُمْ، فَيُعَذَّبُ بِحَسَبِ جُرْمِهِ، ثُمَّ يُخَفَّفُ عَنْهُ كَمَا يُعَذَّبُ فِي النَّارِ مُدَّةً ثُمَّ يَزُولُ عَنْهُ الْعَذَابُ، وَقَدْ يَنْقَطِعُ عَنْهُ الْعَذَابُ -أَيْ عَنِ الْمُعَذَّبِ فِي قَبْرِهِ- بِدُعَاءٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ ثَوَابِ حَجٍّ يَصِلُهُ مِنْ بَعْضِ أَقَارِبِهِ أَوْ غَيْرِهِمْ كَمَا ذَكَرَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-(٢).

وَأَسْبَابُ عَذَابِ الْقَبْرِ كَثِيرَةٌ، قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «قَوْلُ السَّائِلِ مَا الْأَسْبَابُ الَّتِي يُعَذَّبُ بِهَا أَصْحَابُ الْقُبُورِ؟

جَوَابُهُ مِنْ وَجْهَيْنِ: مُجْمَلٍ وَمُفَصَّلٍ؛ أَمَّا الْمُجْمَلُ فَإِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَلَىٰ جَهْلِهِمْ بِاللهِ، وَإِضَاعَتِهِمْ لِأَمْرِهِ، وَارْتِكَابِهِمْ لِمَعَاصِيهِ فَلَا يُعَذِّبُ اللهُ رُوحًا عَرَفَتْهُ، وَأَحَبَّتْهُ، وَامْتَثَلَتْ أَمْرَهُ، وَاجْتَنَبَتْ نَهْيَهُ، وَلَا بَدَنًا كَانَتْ فِيهِ أَبَدًا؛ فَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ الْآخِرَةِ أَثَرُ غَضَبِ اللهِ وَسُخْطِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ، فَمَنْ أَغْضَبَ اللهَ وَأَسْخَطَهُ فِي

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي «**السُّنَنِ**»: (٤/ ٢٣٩ - ٢٤٠، رقم ٤٧٥٣)، وقد تقدم تخريجه.

(٢) «**الروح**»: (ص٨٩).

هَذِهِ الدَّارِ، ثُمَّ لَمْ يَتُبْ وَمَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ كَانَ لَهُ مِنْ عَذَابِ الْبَرْزَخِ بِقَدْرِ غَضَبِ اللهِ وَسَخَطِهِ عَلَيْهِ، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَمُصَدِّقٌ وَمُكَذِّبٌ»(١).

قَالَ: «وَلَمَّا كَانَ أَكْثَرُ النَّاسِ كَذَلِكَ، كَانَ أَكْثَرُ أَصْحَابِ الْقُبُورِ مُعَذَّبِينَ، وَالْفَائِزُ مِنْهُمْ قَلِيلٌ، فَظَوَاهِرُ الْقُبُورِ تُرَابٌ، وَبَوَاطِنُهَا حَسَرَاتٌ وَعَذَابٌ، ظَوَاهِرُهَا بِالتُّرَابِ وَالْحِجَارَةِ الْمَنْقُوشَةِ مَبْنِيَّاتٌ، وَفِي بَاطِنِهَا الدَّوَاهِي وَالْحَيَّاتُ، تَغْلِي بِالْحَسَرَاتِ، كَمَا تَغْلِي الْقُدُورُ بِمَا فِيهَا، وَيَحِقُّ لَهَا، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ شَهَوَاتِهَا وَأَمَانِيِّهَا، تَاللهِ لَقَدْ وَعَظَتْ فَمَا تَرَكَتْ لِوَاعِظٍ مَقَالًا، وَنَادَتْ: يَا عُمَّارَ الدُّنْيَا! لَقَدْ عَمَّرْتُمْ دَارًا مُوشِكَةً بِكُمْ زَوَالًا، وَخَرَّبْتُمْ دَارًا أَنْتُمْ مُسْرِعُونَ إِلَيْهَا انْتِقَالًا، عَمَّرْتُمْ بُيُوتًا لِغَيْرِكُمْ مَنَافِعُهَا وَسُكْنَاهَا، وَخَرَّبْتُمْ بُيُوتًا لَيْسَ لَكُمْ مَسَاكِنُ سِوَاهَا، هَذِهِ دَارُ الِاسْتِبَاقِ، وَمُسْتَوْدَعُ الْأَعْمَالِ، وَبَذْرُ الزَّرْعِ، وَهَذِهِ مَحَلُّ الْعِبَرِ، رِيَاضٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفَرٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ»(١).

أَنْكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الزَّائِغِينَ عَذَابَ الْقَبْرِ وَنَعِيمَهُ، وَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ نَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يَقِينَا فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ.(*).

«لَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ فَأَنْكَرُوا عَذَابَ الْقَبْرِ، وَأَنْكَرُوا نَعِيمَهُ، زَاعِمِينَ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُمْكِنٍ لِمُخَالَفَةِ الْوَاقِعِ، قَالُوا: فَإِنَّهُ لَوْ كُشِفَ عَنِ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ لَوُجِدَ كَمَا كَانَ عَلَيْهِ، وَالْقَبْرُ لَمْ يَتَغَيَّرْ بِسَعَةٍ وَلَا ضِيقٍ.

---

(١) «الروح»: (ص٧٧).

(١) «الروح»: (ص٧٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ فِي تَحْقِيقِ الْعَقِيدَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٨ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٧هـ| ٣١-٨-٢٠١٦م.

وَهَذَا الزَّعْمُ بَاطِلٌ بِالشَّرْعِ، وَالْحِسِّ، وَالْعَقْلِ:

أَمَّا الشَّرْعُ: فَقَدْ مَرَّ مَعَنَا كَثِيرٌ مِنَ النُّصُوصِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ ثُبُوتِ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَنَعِيمِهِ.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»(١): مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَعْضِ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا». وَقَدْ أَخْرَجَهُ أَيْضًا مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ».

وَالْحَدِيثُ فِيهِ: «**إِنَّ أَحَدَهُمَا كَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ** -وَفِي رِوَايَةٍ: **مِنْ بَوْلِهِ**-، **وَأَنَّ الْآخَرَ كَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**».

وَأَمَّا الْحِسُّ: فَإِنَّ النَّائِمَ يَرَىٰ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ كَانَ فِي مَكَانٍ فَسِيحٍ بَهِيجٍ يَتَنَعَّمُ فِيهِ، أَوْ أَنَّهُ كَانَ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ مُوحِشٍ مُؤْلِمٍ يَتَأَلَّمُ مِنْهُ، وَرُبَّمَا يَسْتَيْقِظُ أَحْيَانًا مِمَّا رَأَىٰ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ فِي حُجْرَتِهِ عَلَىٰ مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَالنَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ؛ لِهَذَا سَمَّاهُ اللهُ تَعَالَىٰ «وَفَاةً»؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ **ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ** ﴾ [الزمر: ٤٢].

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: كتاب الوضوء: باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، (٢١٦)، ومسلم في «**الصحيح**»: كتاب الإيمان: باب الدليل علىٰ نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، (٢٩٢)، من حديث: ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَأَمَّا الْعَقْلُ: فَإِنَّ النَّائِمَ فِي مَنَامِهِ يَرَىٰ الرُّؤْيَا الْحَقَّ الْمُطَابِقَةَ لِلْوَاقِعِ، وَرُبَّمَا رَأَىٰ النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ صِفَتِهِ، وَمَنْ رَأَىٰ النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ صِفَتِهِ فَقَدْ رَآهُ حَقًّا(١)، وَمَعَ ذَلِكَ فَالنَّائِمُ فِي حُجْرَتِهِ وَعَلَىٰ فِرَاشِهِ بَعِيدًا عَنْ كُلِّ مَا رَأَىٰ، فَإِذَا كَانَ هَذَا مُمْكِنًا فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، أَفَلَا يَكُونُ مُمْكِنًا فِي أَحْوَالِ الْآخِرَةِ؟!

وَأَمَّا اعْتِمَادُ مُنْكِرِي عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ -فِيمَا زَعَمُوهُ- عَلَىٰ أَنَّهُ لَوْ كُشِفَ عَنِ الْمَيِّتِ فِي قَبْرِهِ لَوُجِدَ كَمَا كَانَ عَلَيْهِ، وَوُجِدَ الْقَبْرُ عَلَىٰ حَالِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ بِسَعَةٍ وَلَا بِضِيقٍ، فَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا مِنْ وُجُوهٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ لَا تَجُوزُ مُعَارَضَةُ مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ بِمِثْلِ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ الدَّاحِضَةِ الَّتِي لَوْ تَأَمَّلَ الْمُعَارِضُ بِهَا مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ حَقَّ التَّأَمُّلِ لَعَلِمَ بُطْلَانَ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ؛ كَمَا قِيلَ:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا ... وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ(١)

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم: باب إثم من كذب علىٰ النبي ﷺ، (١١٠)، ومسلم: كتاب الرؤيا: باب قول النبي عليه الصلاة والسلام من رآني في المنام فقد رآني، (٢٢٦٦)، من حديث: أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي**».

وفي رواية لمسلم: «**من رآني في المنام لكأنما رآني في اليقظة...**»، وفي أخرىٰ لأحمد (٢/ ٤٢٥): «**من رآني في المنام فقد رأىٰ الحق، إن الشيطان لا يستطيع أن يتشبه بي**».

(١) البيت من البحر الوافر، لشَاعِرِ الزَّمَانِ الأَدِيبِ: أَحْمَدُ بنُ حُسَيْنِ بنِ حَسَنِ، أَبِي الطَّيِّبِ الكُوْفِيِّ، المعروف بِـ(الْمُتَنَبِّي)، المتوفى سنة ٣٥٤ هـ، والبيت في ديوانه: (ص٢٣٢) من قصيدة، يقول في مطلعها:

(**إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومِ... فَلا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ**)

(**فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ... كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ**)

الثَّانِي مِنَ الْوُجُوهِ: أَنَّ أَحْوَالَ الْبَرْزَخِ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ الَّتِي لَا يُدْرِكُهَا الْحِسُّ، وَلَوْ كَانَتْ تُدْرَكُ بِالْحِسِّ لَفَاتَتْ فَائِدَةُ الْإِيمَانِ بِالْغَيْبِ، وَلَتَسَاوَىٰ الْمُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وَالْجَاحِدُونَ فِي التَّصْدِيقِ بِهِ.

الثَّالِثُ مِنَ الْوُجُوهِ: أَنَّ الْعَذَابَ وَالنَّعِيمَ، وَسَعَةَ الْقَبْرِ وَضِيقَهُ إِنَّمَا يُدْرِكُهَا الْمَيِّتُ دُونَ غَيْرِهِ، وَهَذَا كَمَا يَرَىٰ النَّائِمُ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ فِي مَكَانٍ ضَيِّقٍ مُوحِشٍ، أَوْ فِي مَكَانٍ فَسِيحٍ بَهِيجٍ، وَهُوَ بِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ مَنَامُهُ، فَهُوَ فِي حُجْرَتِهِ وَبَيْنَ فِرَاشِهِ وَغِطَائِهِ. وَلَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُوحَىٰ إِلَيْهِ وَهُوَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فَيَسْمَعُ الْوَحْيَ، وَلَا يَسْمَعُهُ الصَّحَابَةُ، وَرُبَّمَا يَتَمَثَّلُ لَهُ الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُهُ(١)، وَالصَّحَابَةُ لَا يَرَوْنَ الْمَلَكَ، وَلَا يَسْمَعُونَهُ(٢).

---

(١) أخرج البخاري: كيف كان بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ؟ (٢)، ومسلم: كتاب الفضائل: باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي، (٢٣٣٣)، من حديث: عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالت:

أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول**»، قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا.

(٢) أخرج البخاري: كتاب بدء الخلق: باب ذكر الملائكة، (٣٢١٧)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة: باب في فضل عائشة -رضي الله تعالىٰ عنها-، (٢٤٤٧)، من حديث: عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ، قال لها: «**يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام**»، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترىٰ ما لا أرىٰ، تريد النبي ﷺ.

الرَّابِعُ مِنَ الْوُجُوهِ: أَنَّ إِدْرَاكَ الْخَلْقِ مَحْدُودٌ بِمَا مَكَّنَهُمُ اللهُ -تَعَالَىٰ- مِنْ إِدْرَاكِهِ وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُدْرِكُوا كُلَّ مَوْجُودٍ، فَالسَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ بِحَمْدِ اللهِ جَلَّوَعَلَا تَسْبِيحًا حَقِيقِيًّا يُسْمِعُهُ اللهُ تَعَالَىٰ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ أَحْيَانًا. وَمَعَ ذَلِكَ فَهَذَا كُلُّهُ مَحْجُوبٌ عَنَّا؛ فِي ذَلِكَ قَالَ رَبُّنَا جَلَّوَعَلَا: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وَهَكَذَا الشَّيَاطِينُ، وَالْجِنُّ، يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ ذَهَابًا وَإِيَابًا، وَقَدْ حَضَرَتِ الْجِنُّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَاسْتَمَعُوا لِقِرَاءَتِهِ وَأَنْصَتُوا وَوَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ؛ وَمَعَ هَذَا فَهُمْ مَحْجُوبُونَ عَنَّا؛ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وَإِذَا كَانَ الْخَلْقُ لَا يُدْرِكُونَ كُلَّ مَوْجُودٍ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُنْكِرُوا مَا ثَبَتَ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ، وَلَمْ يُدْرِكُوهُ»(١).

فَهَذِهِ الْوُجُوهُ كُلُّهَا -مِنَ الْعَقْلِ وَالْحِسِّ وَكَذَلِكَ مَا عَلَيْهِ دَلَالَةُ الْعَقْلِ- تَرُدُّ عَلَىٰ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ عَذَابَ الْقَبْرِ وَنَعِيمَهُ.(*).

❀❀❀

(١) شرح «**الأصول الثلاثة وأدلتها**»: (٦/ ١٠٦- ١٠٨/ مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «التَّعْرِيفُ بِالْإِسْلَامِ» (الْمُحَاضَرَة ٤٨)، الِاثْنَيْنِ ١٥ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٩هـ| ٤-١٢-٢٠١٧م.

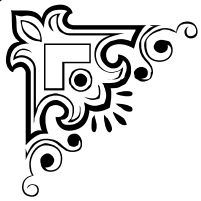

مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ:
الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ وَالْحَشْرِ وَالْحِسَابِ

عِبَادَ اللهِ! مِنْ مَعْنَىٰ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: أَنْ نَعْمَلَ مُتَيَقِّنِينَ أَنَّهُ آتٍ لَا مَحَالَةَ عِنْدَمَا يَشَاءُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَيَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ الْإِيمَانُ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ وَأَمَارَاتِهَا الَّتِي تَكُونُ قَبْلَهَا لَا مَحَالَةَ، وَبِالْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ وَنَعِيمِهِ، وَبِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَخُرُوجِ الْخَلَائِقِ مِنَ الْقُبُورِ، وَمَا فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْأَفْزَاعِ، وَتَفَاصِيلِ الْمَحْشَرِ، وَنَشْرِ الصُّحُفِ، وَوَضْعِ الْمَوَازِينِ، وَبِالصِّرَاطِ وَالْحَوْضِ، وَالشَّفَاعَةِ وَغَيْرِهَا، وَبِالْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا الَّذِي أَعْلَاهُ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ ﷻ، وَبِالنَّارِ وَعَذَابِهَا الَّذِي أَشَدُّهُ حَجْبُهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ ﷻ.

فَهَذَا كُلُّهُ يَدْخُلُ فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.(*).

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ هُوَ الرُّكْنُ الْخَامِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ؛ وَمِنْ مُشْتَمَلَاتِهِ: الْبَعْثُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ ٢٠٠ سُؤَالٍ وَجَوَابٍ فِي الْعَقِيدَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ)، الثُّلَاثَاءُ ٥ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٢هـ| ٨-٢-٢٠١١م.

«وَقَدْ أَنْكَرَ الْكَافِرُونَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ زَاعِمِينَ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُمْكِنٍ.

وَهَذَا الزَّعْمُ بَاطِلٌ دَلَّ عَلَىٰ بُطْلَانِهِ الشَّرْعُ، وَالْحِسُّ، وَالْعَقْلُ.

أَمَّا الشَّرْعُ: فَقَدْ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]؛ وَقَدِ اتَّفَقَتْ جَمِيعُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا الْحِسُّ: فَقَدْ أَرَىٰ اللهُ عِبَادَهُ إِحْيَاءَ الْمَوْتَىٰ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَفِي «سُورَةِ الْبَقَرَةِ» خَمْسَةُ أَمْثِلَةٍ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَهِيَ:

الْمِثَالُ الْأَوَّلُ: قَوْمُ مُوسَىٰ حِينَ قَالُوا لَهُ: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] فَأَمَاتَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ؛ وَفِي ذَلِكَ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا مُخَاطِبًا بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥-٥٦].

الْمِثَالُ الثَّانِي: فِي قِصَّةِ الْقَتِيلِ الَّذِي اخْتَصَمَ فِيهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَأَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ أَنْ يَذْبَحُوا بَقَرَةً فَيَضْرِبُوا بِبَعْضِهَا هَذَا الْقَتِيلَ؛ لِيُخْبِرَهُمْ بِمَنْ قَتَلَهُ؛ وَفِي ذَلِكَ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٢-٧٣].

الْمِثَالُ الثَّالِثُ: فِي قِصَّةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ فِرَارًا مِنَ الْمَوْتِ وَهُمْ أُلُوفٌ فَأَمَاتَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ، ثُمَّ أَحْيَاهُمْ؛ وَفِي ذَلِكَ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿۞ أَلَمْ

تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

الْمِثَالُ الرَّابِعُ: فِي قِصَّةِ الَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ مَيِّتَةٍ فَاسْتَبْعَدَ أَنْ يُحْيِيَهَا اللهُ -تَعَالَىٰ-، فَأَمَاتَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- مِئَةَ عَامٍ، ثُمَّ أَحْيَاهُ؛ وَفِي ذَلِكَ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

الْمِثَالُ الْخَامِسُ: فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ حِينَ سَأَلَ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَنْ يُرِيَهُ كَيْفَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ؟ فَأَمَرَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- أَنْ يَذْبَحَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ، وَيُفَرِّقَهُنَّ أَجْزَاءً عَلَىٰ الْجِبَالِ الَّتِي حَوْلَهُ، ثُمَّ يُنَادِيهِنَّ فَتَلْتَئِمُ الْأَجْزَاءُ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَيَأْتِينَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ سَعْيًا؛ وَفِي ذَلِكَ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فَهَذِهِ أَمْثِلَةٌ حِسِّيَّةٌ وَاقِعِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ إِمْكَانِيَّةِ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ، وَكَذَلِكَ مَا جَعَلَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- مِنْ آيَاتِ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ بِإِذْنِ اللهِ -تَعَالَىٰ-.

وَأَمَّا دَلَالَةُ الْعَقْلِ فَمِنْ وَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، خَالِقُهُمَا ابْتِدَاءً، وَالْقَادِرُ عَلَىٰ ابْتِدَاءِ الْخَلْقِ لَا يَعْجِزُ عَنْ إِعَادَتِهِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ آمِرًا بِالرَّدِّ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَ إِحْيَاءَ الْعِظَامِ وَهِيَ رَمِيمٌ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩].

الثَّانِي: أَنَّ الْأَرْضَ تَكُونُ مَيِّتَةً هَامِدَةً لَيْسَ فِيهَا نَبْتَةٌ خَضْرَاءُ، فَيَنْزِلُ عَلَيْهَا الْمَطَرُ فَتَهْتَزُّ خَضْرَاءَ حَيَّةً فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، وَالْقَادِرُ عَلَىٰ إِحْيَائِهَا بَعْدَ مَوْتِهَا، قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْأَمْوَاتِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ٩-١١]»[1].

فَبِهَذَا يُسْتَدَلُّ عَلَىٰ الْبَعْثِ؛ وَهُوَ مِنْ مُشْتَمَلَاتِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

*** مِنْ مُشْتَمَلَاتِ الْيَوْمِ الْآخِرِ: «الْحَشْرُ».**

وَالْحَشْرُ فِي اللُّغَةِ: الْجَمْعُ.

---

(١) شرح «**الأصول الثلاثة وأدلتها**»: (٦/ ١٠٣-١٠٥/ مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين).

وَفِي الشَّرْعِ: جَمْعُ الْخَلَائِقِ بَعْدَ إِحْيَائِهِمْ فِي مَوْقِفِ الْجَمْعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِحِسَابِهِمْ وَالْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ.

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَىٰ الْحَشْرِ:

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق: ٤٤].

وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَجْمَعُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي مَوْقِفٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَإِنَّهُمْ يُصِيبُهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ مِنَ الْأَهْوَالِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، حَتَّىٰ يَسْعَىٰ بَعْضُهُمْ فِي طَلَبِ الشَّفَاعَةِ لِيَخْلُصُوا مِنْ هَوْلِ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ لِشِدَّتِهِ عَلَيْهِمْ**»(١). وَهَذَا جُزْءٌ مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ الطَّوِيلِ، وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) جزء من حديث الشفاعة الطويل؛ أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، (٣٣٤٠)، ومسلم: كِتَابُ الْإِيمَانَ: بَابُ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا، (١٩٤)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه، إلا أنه مذكور هنا بمعناه، ولفظه:

«**أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون، وما لا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما**
=

وَفِي «الصَّحِيحِ»(١): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمَحْشُورُونَ حُفَاةً غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَىٰ إِبْرَاهِيمُ** عليه السلام». وَهَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ -أَيْضًا- مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

وَقَالَ ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا**(١)»(٢)؛ أَيْ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ.

=

أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلىٰ ربكم؟...» فذكر سؤال الناس الأنبياء الشفاعة، وقولهم: «**نفسي نفسي**»، حتىٰ يقول عيسىٰ عليه السلام: «**اذهبوا إلىٰ محمد، فيأتوني فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر، اشفع لنا إلىٰ ربك، ألا ترىٰ ما نحن فيه؟ ألا ترىٰ ما قد بلغنا؟ فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده، وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: يا رب، أمتي أمتي،...**» الحديث.

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾، (٣٣٤٩)، ومسلم: كتاب الجنة: باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، (٢٨٦٠).

(١) «**الْبُهْمُ**»، أي: الَّذِي لَا يُخَالِطُ لَوْنَهُ لَوْنًا سِوَاهُ، بَلْ يَكُونُ لَوْنُهُ خَالِصًا.

(٢) ذكره البخاري في «**الصحيح**» معلقا مجزوما به: كِتَابُ التَّوْحِيدِ: بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾، وأخرجه موصولا في «**الأدب المفرد**»: (ص٢٥٢، رقم ٩٧٠)، وأحمد في «**المسند**»: (٣/ ٤٩٥، رقم ١٦٠٤٢)، من حديث: عبد الله بن أنيس رضي الله عنه.

=

وَقَالَ ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ أَرْضٍ بَيْضَاءَ كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ**(١)، **لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ**(٢)»(٣). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ رِوَايَةِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه»(٤).

فَهَذِهِ أَدِلَّةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ ثُبُوتِ الْحَشْرِ.

يَجْمَعُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي أَرْضِ الْمَحْشَرِ مِنْ أَجْلِ الْحِسَابِ.

وَمِنْ مُشْتَمَلَاتِ الْيَوْمِ الْآخِرِ: «**الْحِسَابُ**.

وَالْحِسَابُ فِي اللُّغَةِ: الْعَدُّ وَالْإِحْصَاءُ.

وَفِي الشَّرْعِ: إِطْلَاعُ اللهِ -تَعَالَىٰ- عِبَادَهُ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ قَبْلَ الِانْصِرَافِ مِنَ الْمَحْشَرِ خَيْرًا كَانَتْ تِلْكَ الْأَعْمَالُ أَوْ شَرًّا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦].

=

والحديث حسنه لغيره الألباني في «**صحيح الأدب المفرد**»: (ص٣٧٢، رقم ٧٤٦)، وفي «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣/ ٤٢٧، رقم ٣٦٠٨).

(١) «**كقرصة نقي**»، أي: كرغيف مصنوع من دقيق خالص من الغش والنخالة.

(٢) «**معلم**»، أي: علامة يستدل بها، والمعنىٰ: أنها مستوية لا حدب فيها ولا بناء عليها ولا شيء سواه.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق: باب يقبض الله الأرض يوم القيامة، (٦٥٢١)، ومسلم: كتاب صفات المنافقين: باب في البعث والنشور...، (٢٧٩٠).

(٤) «**بيان أركان الإيمان**» لعبد الله بن صالح القصير: (ص٩٦-٧٠).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وَأَمَّا الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ الْحِسَابِ:

فَالْحِسَابُ ثَابِتٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، وَالْإِيمَانُ بِهِ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

مِنَ الْقُرْآنِ:

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-٨].

وَمِنَ السُّنَّةِ:

مَا جَاءَ فِي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» رَحِمَهُ اللَّهُ(١): عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: «**اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا**».

---

(١) أخرجه أحمد: (٦/ ٤٨ و١٨٥)، وأخرجه أيضا ابن خزيمة في «**الصحيح**»: (٢/ ٣٠، رقم٨٤٩)، وابن حبان في «**الصحيح**»: (ترتيب ابن بلبان: ١٦/ ٣٧٢، رقم٧٣٧٢)، والحاكم في «**المستدرك**»: (١/ ٥٧، رقم١٩٠)، من طريق: محمد بن إسحاق، عن عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن عائشة، قالت: =

فَقَالَتْ عَائِشَةُ: «مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟».

قَالَ: «**أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ**». وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»، وَقَالَ عَنْهُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمِشْكَاةِ»: «إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ».

وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ ثُبُوتِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْحِسَابُ عَامٌّ لِلْجَمِيعِ إِلَّا مَنِ اسْتَثْنَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ؛ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَفِيهِ قَالَ ﷺ فِي أُمَّتِهِ: «**وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**»؛ فَهَذَا أُوحِيَ بِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ ذَلِكَ؛ قَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ».

فَقَالَ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

=

سمعت رسول الله ﷺ، يقول في بعض صلاته: «**اللهم حاسبني حسابا يسيرا**»...فذكر الحديث، وتمامه: «...، **إنه من نوقش الحساب يومئذ يا عائشة هلك، وكل ما يصيب المؤمن، يكفر الله عز وجل به عنه، حتىٰ الشوكة تشوكه**».

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه بهذا اللفظ، إنما اتفقا علىٰ حديث: ابن أبي مليكة، عن عائشة: أن رسول الله ﷺ، قال (من نوقش الحساب عذب)»، وجود إسناده الألباني في هامش «**مشكاة المصابيح**»: (٣/ ١٥٤٤، رقم٥٥٦٢).

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب: بَابُ مَنِ اكْتَوَىٰ أَوْ كَوَىٰ غَيْرَهُ...، (٥٧٠٥)، ومسلم: كتاب الإيمان: بَابُ الدَّلِيلِ عَلَىٰ دُخُولِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، (٢٢٠).

وَرَوَىٰ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ: «**إِنَّ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا**»؛ صَحَّحَهُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَذَكَرَ لَهُ شَوَاهِدَ(٢).

وَأَمَّا صِفَةُ الْحِسَابِ وَنَشْرِ الْكِتَابِ؛ فَقَدْ دَلَّتِ النُّصُوصُ الْوَارِدَةُ فِي الْحِسَابِ -وَمِنْهَا حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ- عَلَىٰ: «**أَنَّ اللهَ يَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ -أَوْ بِعَمَلِهِ- حَتَّىٰ إِذَا رَأَىٰ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ؛ قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- لَهُ: أَنَا سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ**»(٣). وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْحِسَابَ قَبْلَ أَخْذِ الْكِتَابِ، فَالْكِتَابُ تَوْثِيقٌ لِلْحِسَابِ لِإِظْهَارِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ مِنْ رَبِّ الْأَرْبَابِ، فَيُقَرَّرُ بِالْحِسَابِ، ثُمَّ يُدْفَعُ إِلَيْهِ الْكِتَابُ لِيَقْرَأَهُ فَيُبَاهِيَ بِهِ أَوْ يَتَحَسَّرَ عَلَيْهِ.

---

(١) أخرجه أحمد في «**المسند**»: (٥/ ٢٥٠ و٢٦٨)، وأخرجه أيضا الترمذي في «**الجامع**»: كتاب صفة القيامة: باب١٢، (٢٤٣٧)، وابن ماجه في «**السنن**»: كتاب الزهد: باب صفة أمة محمد ﷺ، (٤٢٨٦)، وله شواهد عن ثوبان وابن مسعود وعمران بن حصين وأبي هريرة وسهل بن سعد وابن عباس وعتبة بن عبد السلمي ورفاعة الجهني وأنس، وغيرهم.

(٢) «**تفسير القرآن العظيم**»: سورة آل عمران: الآية١١٠، (٢/ ٩٥).

(٣) أخرجه البخاري: (٢٤٤١) كتاب تفسير القرآن: باب قوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ ...﴾، ومسلم: كتاب التوبة: باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، (٢٧٦٨)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ، قال: سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**يُدْنَىٰ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ ﷻ، حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَىٰ صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ،...** » الحديث.

وَأَمَّا الْكَافِرُونَ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَىٰ بِهِمْ عَلَىٰ رُءُوسِ الْأَشْهَادِ: أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الظَّالِمِينَ.

وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ مِنَ الْأُمَمِ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «**نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيُّ بَيْنَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ**»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَرَوَىٰ ابْنُ مَاجَهْ(٢): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَرْفَعُهُ: «**نَحْنُ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ...**» الْحَدِيثَ. وَقَدْ قَالَ فِي «الزَّوَائِدِ»: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، رِجَالُهُ ثِقَاتٌ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ ابْنِ مَاجَهْ».

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء: باب البول في الماء الدائم، (٢٣٨)، ومسلم: كتاب الجمعة: باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، (٨٥٥)، من حديث: أبي هريرة، إلا أن لفظه: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة،...**»، وتمامه: «...، **بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، وهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فهم لنا فيه تبع، فاليهود غدا، والنصارىٰ بعد غد**».
وأما قوله: «...، **الْمَقْضِيُّ بَيْنَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ**»، فجزء من حديث أخرجه مسلم: (٨٥٦)، من حديث: أبي هريرة وحذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ولفظه: «...، **نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق**»، وفي رواية له: «**المقضي بينهم**».

(٢) أخرجه ابن ماجه: كتاب الزهد: باب صفة أمة محمد ﷺ، (٤٢٩٠).
قال البوصيري في الزوائد: (٤/ ٢٥٦، رقم٤٣٥١): «هذا إسناد صحيح»، وكذا قال الألباني في «**الصحيحة**»: (٥/ ٤٨٨، رقم٢٣٧٤)، والوادعي في «**الصحيح المسند**»: (١/ ٥٤٣، رقم٦٥٨).

وَأَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ مِنْ حُقُوقِ اللهِ تَعَالَىٰ الصَّلَاةُ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ...**»(١). وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَالْحَاكِمُ، وَغَيْرُهُمْ، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ أَيْضًا.

وَقَالَ الْمُنْذِرِيُّ فِي «التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ»(٢): «**«وَأَوَّلُ مَا يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ»** قَالَ: قُلْتُ: يَعْنِي: مِنْ حُقُوقِ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الدِّمَاءِ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ**»(٣)»(٤).

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ السَّوَادِ الْعَظِيمِ الَّذِي رَآهُ قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ فَقِيلَ: «**هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِلَا حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ**»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٦١٤)، والنسائي (٢٣٤)، وابن ماجه (١٤٢٦)، والحاكم (١/ ٣٩٤)، والطبراني في «**الكبير**» (٢/ ٥١)، وغيرهم من حديث تميم الداري رضي الله عنه.
وأخرجه أبو داود (٨٦٤)، والترمذي (٤١٣)، وابن ماجه (١٤٢٥)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد صححه الألباني بمجموع طرقه في «**الصحيحة**»: (ح١٣٥٨).

(٢) «**الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٦٢٨، رقم٢٤٣٥-صحيح الألباني).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب: القصاص يوم القيامة (٦٥٣٣)، ومسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب المجازاة بالدماء في الآخرة (١٦٧٨).

(٤) «**بيان أركان الإيمان**» لعبد الله بن صالح القصير: (ص٧١-٧٤).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب: يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب (٦٥٤١)، =

وَعِنْدَ أَحْمَدَ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ: «**إِنَّ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعِينَ أَلْفًا**»(١). وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَذَكَرَ لَهُ شَوَاهِدَ.

«**وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ أَخْذِ الْكُتُبِ -يَعْنِي: صُحُفَ الْأَعْمَالِ-**؛ فَإِنَّهُ بَعْدَ الْحِسَابِ تُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، أَيْ: تُفْتَحُ وَتُبْسَطُ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧-٨]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٠-١٢]، وَيَقُولُ خَاسِئًا حَسِيرًا: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٦]، وَكَذَلِكَ قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]، فَكُلٌّ قَدْ تَحَدَّدَ مَصِيرُهُ.

=

واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: الدليل علىٰ دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب (٢٢٠)، من حديث ابن عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ العَشَرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ مَعَهُ الخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمُرُّ وَحْدَهُ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، هَؤُلاَءِ أُمَّتِي؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَىٰ الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قَالَ: هَؤُلاَءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلاَءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قُدَّامَهُمْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**».

(١) تقدم تخريجه.

* **مِنْ مُشْتَمَلَاتِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ.**

وَهُوَ أَمْرٌ حَقِيقِيٌّ، مِيزَانٌ حَقِيقِيٌّ لَهُ كِفَّتَانِ تُوزَنُ فِيهِ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، وَلَا يَعْلَمُ كَيْفِيَّتَهُ إِلَّا اللهُ جَلَّ وَعَلَا، ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨-٩].

فَتُوزَنُ الْأَعْمَالُ لِحَدِيثِ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ** -أَوْ قَالَ: **تَمْلَآنِ- مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه.

وَقَدْ تُوزَنُ صُحُفُ الْأَعْمَالِ لِحَدِيثِ الْبِطَاقَةِ(٢).

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كتاب الطهارة: باب فضل الوضوء، (٢٢٣).

(٢) حديث البطاقة؛ أخرجه الترمذي: كتاب الإيمان: بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ يَمُوتُ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، (٢٦٣٩)، وابن ماجه: كِتَابُ الزُّهْدِ: بَابُ مَا يُرْجَىٰ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، (٤٣٠٠)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، قال:
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَىٰ، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ**

وَقَدْ يُوزَنُ الْعَامِلُ نَفْسُهُ لِحَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتَعْجَبُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ؟ لَهُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ**»(١).

وَحَدِيثُ: «**يُؤْتَىٰ بِالرَّجُلِ السَّمِينِ فَلَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»(١).

=

اسْمِ اللهِ شَيْءٌ».

قال الترمذي: «الْبِطَاقَةُ: الْقِطْعَةُ، وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وصححه الألباني في «**الصحيحة**»: (١/ ٢٦١، رقم ١٣٥)، وقال: «وفي الحديث: دليل علىٰ أن ميزان الأعمال له كفتان مشاهدتان، وأن الأعمال وإن كانت أعراضا فإنها توزن، والله علىٰ كل شيء قدير، وذلك من عقائد أهل السنة، والأحاديث في ذلك متضافرة إن لم تكن متواترة».

(١) أخرجه أحمد: (١/ ٤٢٠، رقم ٣٩٩١)، والبزار: (٥/ ٢٢١، رقم ١٨٢٧)، وابن حبان: (١٥/ ٥٤٦، رقم ٧٠٦٩-ترتيب ابن بلبان)، والطبراني في «**المعجم الكبير**»: (٩/ ٧٥، رقم ٨٤٥٣)، وفي «**مسند الشاميين**»: (٣/ ١٧٢، رقم ٢٠١٦)، من طرق: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الْأَرَاكِ، وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ، فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مِمَّ تَضْحَكُونَ؟**» قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ، فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ**».

والحديث صححه لغيره الألباني في «**الصحيحة**»: (٦/ ٥٧٠، رقم ٢٧٥٠)، وله شاهد من رواية علي بن أبي طالب وقُرَّةَ بنِ إِيَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعن إبراهيم النخعي مرسلا.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير: سُورَةُ الكَهْفِ: بَابُ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾، (٤٧٢٩)، ومسلم: كِتَابُ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ: صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، (٢٧٨٥).

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُ حَسَنَاتِهِ عَلَىٰ سَيِّئَاتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَسَاوَتْ حَسَنَاتُهُ مَعَ سَيِّئَاتِهِ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَعْرَافِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يُؤَجَّلُ أَمْرُهُ حَتَّىٰ يَدْخُلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ تُدْرِكُهُ الشَّفَاعَةُ فَتَرْجَحُ حَسَنَاتُهُ عَلَىٰ سَيِّئَاتِهِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَىٰ حَسَنَاتِهِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، إِلَّا أَنْ يَشْفَعَ فِيهِ الشُّفَعَاءُ، أَوْ يَعْفُوَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَنْهُ.

*** وَمِنْ مُشْتَمَلَاتِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِالْحَوْضِ.**

وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْحَقِّ عَلَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَهُ حَوْضٌ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، يَرِدُ عَلَيْهِ مَنْ أَجَابَهُ وَاتَّبَعَهُ مِنْ أُمَّتِهِ، وَقَدْ جَاءَ وَصْفُ الْحَوْضِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، مَنْ يَشْرَبْ مِنْهُ لَا يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأُ أَبَدًا**»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢): «**لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ أَقْوَامٌ فَيُخْتَلَجُونَ دُونِي، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق: باب في الحوض، (٦٥٧٩)، ومسلم: كتاب الفضائل: باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، (٢٢٩٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق: باب في الحوض، (٦٥٨٢)، ومسلم: كتاب الفضائل: باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، (٢٣٠٤)، من حديث: أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

*** وَمِنْ مُشْتَمَلَاتِ الْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِالصِّرَاطِ.**

وَقَدْ دَلَّتِ النُّصُوصُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ سَلَفِ الْأُمَّةِ عَلَىٰ أَنَّ الصِّرَاطَ -وَهُوَ الْجِسْرُ الْمَنْصُوبُ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ- يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ مَرَّ عَلَىٰ الصِّرَاطِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ خَطَفَتْهُ تِلْكَ الْكَلَالِيبُ دَخَلَ النَّارَ، فَيَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَىٰ حَسَبِ أَعْمَالِهِمْ، فَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمُكَرْدَسٌ فِي النَّارِ نَارِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ وَقَفُوا عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْضَىٰ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ»[١].(*).

ꕥꕥꕥ

---

(١) «**بيان أركان الإيمان**» لعبد الله بن صالح القصير، (ص٧١-٧٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «التَّعْرِيفُ بِالْإِسْلَامِ» (الْمُحَاضَرَة ٤٨)، الِاثْنَيْنِ ١٥ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٩هـ| ٤-١٢-٢٠١٧م.

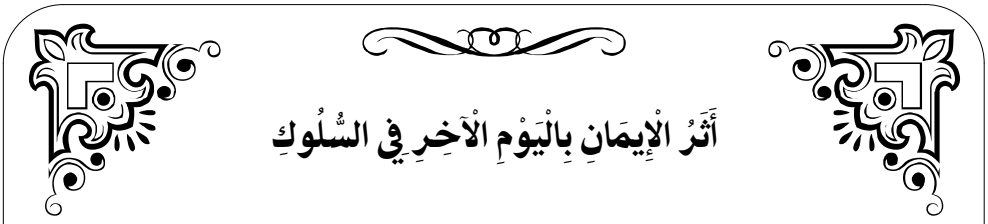

أَثَرُ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فِي السُّلُوكِ

عِبَادَ اللهِ! الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لَهُ أَثَرٌ كَبِيرٌ عَلَىٰ اعْتِقَادِ الْعَبْدِ، وَعَلَىٰ سُلُوكِهِ؛ إِذ إِنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَكُونُ بِالِاعْتِقَادِ، وَالْقَوْلِ، وَالْعَمَلِ.

وَالْأَثَرُ الْمُتَرَتِّبُ عَلَىٰ إِيمَانِ الْعَبْدِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْ جِهَةِ الِاعْتِقَادِ أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَقَدَ وَأَقَرَّ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ فَإِنَّ هذَا الِاعْتِقَادَ يُثْمِرُ الرَّغْبَةَ فِيمَا عِنْدَ اللهِ مِنَ النَّعِيمِ، وَالْخَوْفَ مِنْ عِقَابِهِ وَمِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَأَمَّا الْأَثَرُ الْمُتَرَتِّبُ عَلَىٰ إِيمَانِ الْعَبْدِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مِنْ جِهَةِ السُّلُوكِ وَالْعَمَلِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا آمَنَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ سَيَحْرِصُ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ الَّتِي تُنْجِيهِ مِنْ عِقَابِ اللهِ، وَسَيَسْعَىٰ إِلَىٰ الْأَسْبَابِ الْمُوصِلَةِ إِلَىٰ النَّجَاةِ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

يَعْنِي إِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَقَعَ فِي الْمَحْظُورِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِأَنَّهُ سَيُعْرَضُ عَلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَسَيَنْشُرُهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَيَبْعَثُهُ، وَيَنْصِبُ لَهُ الْمِيزَانَ، وَيَسْأَلُهُ وَيُحَاسِبُهُ عَلَىٰ مَا أَسَرَّ وَأَعْلَنَ، وَقَدَّمَ وَأَخَّرَ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ -حِينَئِذٍ- يَجْتَهِدُ فِي الْبُعْدِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، إِمَّا خَوْفًا وَإِمَّا حَيَاءً؛ إِمَّا خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، وَإِمَّا حَيَاءً مِنْ رَبِّ الْأَرْبَابِ.

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ إِذَا لَمْ يَكُنْ قَائِمًا عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ أَثَّرَ فِي سُلُوكِهِ، وَأَثَّرَ فِي مُعَامَلَاتِهِ، وَأَثَّرَ فِي حَيَاتِهِ، كَمَا يُؤَثِّرُ فِي آخِرَتِهِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ عَلَىٰ الْوَجْهِ فَإِنَّهُ يُثْمِرُ ثَمَرَاتٍ جَلِيلَةً، وَأَخْلَاقًا جَمِيلَةً، وَعُبُودِيَّاتٍ مُتَنَوِّعَةً، وَآثَارًا حَمِيدَةً تَعُودُ عَلَىٰ الْفَرْدِ والْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِكُلِّ خَيْرٍ وَهُدًىٰ.

أَدَاءُ عِبَادَةِ اللهِ ﷻ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ مِمَّا تَعَبَّدَنَا اللهُ -تَعَالَىٰ- بِهِ، وَكَمَالُ الْمَخْلُوقِ فِي تَحْقِيقِهِ الْعُبُودِيَّةَ لِرَبِّهِ جَلَّوَعَلَا يُثْمِرُ زِيَادَةَ الْإِيمَانِ، فَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ أَحَدُ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتَّةِ الَّتِي لَا يَصِحُّ إِيمَانٌ بِدُونِهَا.

كُلَّمَا زادَتْ مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ بِهِ ازْدَادَ إِيمَانُهُ، وَقَوِيَ يَقِينُهُ، وَعَلَتْ دَرَجَتُهُ.

يُثْمِرُ انْبِعَاثَ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ؛ فَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يَحْمِلُ عَلَىٰ فِعْلِ الطَّاعَاتِ؛ رَجَاءً لِثَوَابِ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَيَحْمِلُ عَلَىٰ تَرْكِ الْمَعَاصِي خَوْفًا مِنْ عِقَابِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

إِذَا تَمَّتْ مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِتَفَاصِيلِ ذَلِكَ، وَمَا فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ، وَمَا فِيهِ مِنَ النَّكَالِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ لِأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ كَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ الدَّوَافِعِ لِفِعْلِ الْخَيْرِ وَاجْتِنَابِ الشَّرِّ.

يُثْمِرُ الْعِلْمَ بِفَضْلِ اللهِ، وَعَدْلِهِ، وَحِكْمَتِهِ؛ حَيْثُ يُجَازِي مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعَذَابَ بِعَدْلِهِ، وَيُجَازِي مَنْ يَسْتَحِقُّ الثَّوَابَ بِفَضْلِهِ، وَإِنَّمَا يُعْلَمُ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ مَا يَكُونُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ؛ لِأَنَّهُ لَوْلَا الْيَوْمُ الْآخِرُ وَلَوْلَا الْإِيمَانُ بِهِ مَا كَانَ

لِهَذِهِ الدُّنْيَا مَعْنًىٰ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمَظَالِمِ لَا تُرَدُّ إِلَىٰ أَصْحَابِهَا فِيها، وَلِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ يَلْحَقُ الْمَظْلُومِينَ وَمَنْ يَجُورُ عَلَيْهِمْ مِنَ الظَّلَمَةِ الْجَائِرِينَ، وَلَا تُرْفَعُ هَذِهِ الْمَظَالِمُ حَتَّىٰ يُقْبَرَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنَ ظَالِمِينَ وَمَظْلُومِينَ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا الْغَرُورِ.

فَإِذَا لَمْ يَكُنْ هَنَالِكَ مِنْ يَوْمٍ آخِرٍ يَقُومُ فِيهِ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَيُجَازَىٰ فِيهِ الْمُحْسِنُ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءُ بِإِسَاءَتِهِ لَكَانَ هَذَا كُلُّهُ عَبَثًا فِي عَبَثٍ، وَضَلَالًا فِي ضَلَالٍ، وَلَكِنَّهَا حِكْمَةُ اللهِ.

هَذِهِ الدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ، وَالنَّاسُ فِيهَا يَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَسْتَقْبِلُونَ، وَيَدَعُونَ مَا يَدَعُونَ، وَالْمَوْعِدُ اللهُ، وَسَنُرَدُّ جَمِيعًا إِلَيْهِ نَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ يُحَاسِبُنَا عَلَىٰ مَا قَدَّمْنَا وَأَخَّرْنَا، وَيَجْزِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَيُجَازِي الْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ، وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ، وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يُثْمِرُ الِاعْتِدَالَ فِي حَالِ السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، فَالْمُؤْمِنُ يَلْزَمُ الِاعْتِدَالَ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ، لَا تُطْغِيهِ النِّعْمَةُ، وَلَا تُقَنِّطُهُ الْمُصِيبَةُ، فَإِنْ كَانَتِ السَّرَّاءُ أَعَدَّ لَهَا الشُّكْرَ، وَإِنْ كَانَتِ الضَّرَّاءُ أَعَدَّ لَهَا الصَّبْرَ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(١).

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الزُّهْدِ: بَابُ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، (٤/ ٢٢٩٥، رقم ٢٩٩٩)، من حديث: صُهَيْبِ بنِ سِنَانٍ رضي الله عنه.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «فَاعْلَمْ أَنَّ ذِكْرَ الْمَوْتِ يُورِثُ اسْتِشْعَارَ الِانْزِعَاجِ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ الْفَانِيَةِ، وَالتَّوَجُّهَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ إِلَىٰ الدَّارِ الْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ، ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْفَكُّ عَنْ حَالَتَيْ ضِيقٍ وَسَعَةٍ، وَنِعْمَةٍ وَمِحْنَةٍ، فَإِنْ كَانَ فِي حَالِ ضِيقٍ وَمِحْنَةٍ فَذِكْرُ الْمَوْتِ يُسَهِّلُ عَلَيْهِ بَعْضَ مَا هُوَ فِيهِ فَإِنَّهُ لَا يَدُومُ، وَالْمَوْتُ أَصْعَبُ مِنْهُ، أَوْ فِي حَالِ نِعْمَةٍ وَسَعَةٍ، فَذِكْرُ الْمَوْتِ يَمْنَعُهُ مِنَ الِاغْتِرَارِ بِهَا وَالسُّكُونِ إِلَيْهَا لِقَطْعِهِ عَنْهَا»(١).

وَمِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: قِيَامُ الْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ، فَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يورِثُ الْإِنْسَانَ أَخْلَاقًا جَمِيلَةً؛ يُورِثُهُ خُلُقَ الْبَذْلِ وَالْإِنْفَاقِ؛ لِعِلْمِهِ بِأَنَّ مَا يُقَدِّمُهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ سَيَجِدُهُ عِنْدَ اللهِ فِي الْآخِرَةِ خَيْرًا وَأَبْقَىٰ، فَتَرَاهُ يُؤْثِرُ أَعْمَالَ الْبِرِّ بِجَانِبِ مَا آتَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنَ الْخَيْرِ، وَلَوْ كَانَ بِهِ خَصَاصَةٌ، وَتَرَاهُ يُنْفِقُ إِنْفَاقَ مَنْ لَا يَخْشَىٰ الْفَقْرَ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَبْقَىٰ هُوَ الَّذِي يُخْرَجُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

قَالَتْ: «ذَهَبَتْ كُلُّهَا إِلَّا الذِّرَاعَ».

فَقَالَ: «**بَلْ بَقِيَتْ كُلُّهَا إِلَّا الذِّرَاعَ يَا عَائِشَةُ**»(١).

---

(١) «**التذكرة بأحوال الموتىٰ**»: (ص١٢٣ - ١٢٤).

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ: (٤/ ٦٤٤ رقم ٢٤٧٠)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا بَقِيَ مِنْهَا؟**» قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا، قَالَ: «**بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا**».

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، والحديث حسن إسناده الألباني في «**الصحيحة**»: (٦/ ٩٧ - ٩٩ رقم ٢٥٤٤).

والحديث له شاهد من رواية أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَ أَنْ تُذْبَحَ شَاةٌ فَيَقْسِمَهَا بَيْنَ الْجِيرَانِ، قَالَ: فَذَبَحْتُهَا فَقَسَمْتُهَا بَيْنَ الْجِيرَانِ، وَرَفَعْتُ الذِّرَاعَ إِلَىٰ النَّبِيِّ

مَا أَخْرَجْتِيهِ هُوَ الْبَاقِي، وَمَا أَبْقَيْتِيهِ هُوَ الْفَانِي؛ لِأَنَّ «**اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا تَصَدَّقَ الْعَبْدُ بِصِدْقَةٍ تَلَقَّاهَا بِيَمِينِهِ، وَيُرَبِّيهَا، وَلَوْ كَانَتْ عِدْلَ تَمْرَةٍ لِمَنْ تَصَدَّقَ بِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهَ** -أَيْ مُهْرَهُ- **حَتَّىٰ يَجِدَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ الْجَبَلِ**»(١).

فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْإِنْسَانِ مَا يَخْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الضَّيَاعِ، وَهُوَ نَفِيسٌ عَزِيزٌ عَلَيْهِ فَلْيَجْعَلْهُ عِنْدَ مَنْ لَا تَضِيعُ لَدَيْهِ الصَّدَقَاتُ وَالزَّكَوَاتُ وَالْخَيْرَاتُ وَالْبَرَكَاتُ، وَهُوَ رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ.

الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يُورِثُ صَاحِبَهُ خُلُقَ الشَّجَاعَةِ، يُقْدِمُ فِي سَبِيلِ اللهِ غَيْرَ هَيَّابٍ مِنَ الْمَوْتِ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّ الْمَوْتَ لَنْ يَأْتِيَ إِلَّا فِي وَقْتِهِ، وَلِيَقِينِهِ بِأَنَّ الْمَوْتَ إِنَّمَا هُوَ انْتِقَالٌ مِنْ حَيَاةٍ مَخْلُوطَةٍ بِالْمَتَاعِبِ وَالْمَكَارِهِ إِلَىٰ حَيَاةٍ أَصْفَىٰ لَذَّةً، وَأَهْنَأَ رَاحَةً، وَأَبْقَىٰ نَعِيمًا.

=

ﷺ، كَانَ أَحَبَّ الشَّاةِ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَتْ عَائِشَةُ: مَا بَقِيَ عِنْدَنَا إِلا الذِّرَاعُ، قَالَ: «**كُلُّهَا بَقِيَ إِلا الذِّرَاعَ**».

أخرجه البزار كما في «**زوائده**»: (١/ ٤٤٦ رقم ٩٤٢)، والطبراني في «**مسند الشاميين**»: (٣/ ١٢٠ - ١٢١، رقم ١٩١٣).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الزَّكَاةِ: بَابُ الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ...، (٣/ ٢٧٨، رقم ١٤١٠)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الزَّكَاةِ: بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا، (٢/ ٧٠٢، رقم ١٠١٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّىٰ تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**».

وَالْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يُورِثُ صَاحِبَهُ خُلُقَ التَّوَاضُعِ؛ لِعِلْمِهِ أَنَّ الْكِبْرِيَاءَ للهِ وَحْدَهُ، وَبِأَنَّ الْمُتَكَبِّرِينَ أَذَلُّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَىٰ هَذِهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ فَقِسْ!

*** مِنْ ثَمَرَاتِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: تَسْلِيَةُ الْمُؤْمِنِ عَمَّا يَفُوتُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِمَا يَرْجُوهُ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ**؛ لِذَلِكَ لَا يَنْزَعِجُ لِحُلُولِ مَكْرُوهٍ أَوْ فَوَاتِ مَحْبُوبٍ؛ لِأَنَّه يَرْجُو الْعِوَضَ مِنَ اللهِ ﷻ، فَيَدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَىٰ السُّلُوِّ وَالرَّاحَةِ، وَتَرْكِ التَّسَخُّطِ.(*).

وَبِالْجُمْلَةِ؛ فَلِلْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ثَمَرَاتٌ جَلِيلَةٌ، مِنْهَا:

الْأُولَىٰ: الرَّغْبَةُ فِي فِعْلِ الطَّاعَةِ وَالْحِرْصُ عَلَيْهَا؛ رَجَاءً لِثَوَابِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

الثَّانِيَةُ: الرَّهْبَةُ مِنْ فِعْلِ الْمَعْصِيَةِ وَالرِّضَا بِهَا؛ خَوْفًا مِنْ عِقَابِ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

وَكُلَّمَا كَانَ الْمَرْءُ عَالِمًا بِتَفَاصِيلِ مَا أَعَدَّ اللهُ -تَعَالَىٰ- لِلطَّائِعِينَ، وَبِتَفَاصِيلِ مَا أَعَدَّ اللهُ لِلْمُجْرِمِينَ الْمُنَافِقِينَ الْعَاصِينَ الْمُكَذِّبِينَ، كُلَّمَا كَانَ كَذَلِكَ؛ كَانَ أَحْرَصَ عَلَىٰ فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْمَعْصِيَاتِ.

الثَّالِثَةُ: تَسْلِيَةُ الْمُؤْمِنِ عَمَّا يَفُوتُهُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا يَرْجُوهُ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ وَثَوَابِهَا.

يَزْدَادُ إِيمَانًا بِرَبِّهِ، وَبِحِكْمَةِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَقُدْرَتِهِ عَلَىٰ إِعَادَةِ الْأَجْسَامِ بَعْدَ تَحَلُّلِهَا وَذَهَابِهَا، فَيُعِيدُهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَيَبْعَثُ الْخَلْقَ، يَقُومُونَ كَمَا كَانُوا: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] حُفَاةً عُرَاةً، غُرْلًا غَيْرَ مَخْتُونِينَ، يَقُومُونَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِن: «شَرْحُ الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ فِي تَحْقِيقِ الْعَقِيدَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ)، الْأَرْبِعَاءُ ٢٨ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٧هـ| ٣١-٨-٢٠١٦م.

وَأَيْضًا فِيهِ: الْإِيمَانُ بِعَدْلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا؛ لِأَنَّ الْقَضَايَا الْمُعَلَّقَةَ فِي الْحَيَاةِ كَثِيرَةٌ، وَمَا أَكْثَرَ الْمَظَالِمَ فِي الْحَيَاةِ الَّتِي لَا يُفْصَلُ فِيهَا!

فَإِذَا كَانَ النَّاسُ يَمُوتُونَ، فَيَذْهَبُونَ فِي طَبَقَاتِ الْأَرْضِ، وَلَا يُبْعَثُونَ، وَلَا يَقُومُونَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لِيُحَاسِبَهُمْ عَلَىٰ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ؛ كَانَ هَذَا ظُلْمًا بَيِّنًا؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ لَا تُفْصَلُ، وَلَا يُفْصَلُ فِيهَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَتَظَلُّ مُعَلَّقَةً، وَيَذْهَبُ صَاحِبُ الْحَقِّ إِلَىٰ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ثُمَّ لَا يَحْصُلُ عَلَىٰ حَقِّهِ بَعْدَ ذَلِكَ؛ فَهَذَا فِيهِ مَا فِيهِ.

وَأَيْضًا فِيهِ -يَعْنِي: فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلطَّائِعِينَ وَالْعَاصِينَ مِنَ النَّعِيمِ وَالْجَحِيمِ، فِي الْإِيمَانِ بِذَلِكَ-: مَا يُمْكِنُ أَنْ يَجْعَلَ كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ وَقَّافًا عِنْدَ حُدُودِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، مُسَارِعًا فِي الْخَيْرَاتِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَمِنَ الْعِقَابَ أَسَاءَ الْأَدَبَ، فَإِذَا كَانَ دَائِمًا الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ مِنْهُ عَلَىٰ ذُكْرٍ وَعَلَىٰ بَالٍ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إِذَا أَطَاعَهُ الْعَبْدُ أَثَابَهُ، وَإِذَا عَصَىٰ رَبَّهُ عَاقَبَهُ، فَجَعَلَ الْعِقَابَ دَائِمًا حَاضِرًا، وَكَذَلِكَ يَكُونُ الثَّوَابُ حَاضِرًا؛ فَإِنَّهُ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ، وَيَبْتَعِدُ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ؛ رَجَاءَ ثَوَابِ رَبِّهِ، وَحِرْصًا عَلَىٰ أَنْ تَكُونَ الطَّاعَةُ وِقَايَةً لَهُ مِنَ النَّارِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلْعَاصِينَ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ) - الْأَرْبِعَاءُ ١٣ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ٢٠-٢-٢٠٠٨م.

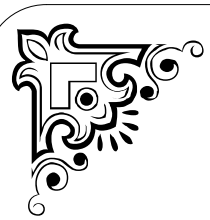

الْخَلَلُ فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَوَاقِبُهُ

إِنَّ الْإِيمَانَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ السِّتَّةِ، وَكَثِيرًا مَا يَقْرِنُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَيْنَ الْإِيمَانِ بِهِ -تَعَالَىٰ- وَالْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، الْإِيمَانُ بِالْمَبْدَأِ، وَالْإِيمَانُ بِالْمَعَادِ، فَيَجْمَعُهُمَا رَبُّهُمَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَارِنًا بَيْنَهُمَا؛ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِهِ جَلَّ وَعَلَا وَالْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، الْإِيمَانُ بِالْمَبْدَأِ، وَالْإِيمَانُ بِالْمَعَادِ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤْمِنَ بِاللهِ، إِذْ إِنَّ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لَنْ يَعْمَلَ.

لِمَاذَا يَعْمَلُ؟! وَهُوَ لَا يُؤْمِنُ أَنَّهُ يُبْعَثُ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ؟!

لِمَاذَا يَحْرِمُ نَفْسَهُ مِنَ الْمَلَذَّاتِ وَالطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ لَنْ يَقُومَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؟! وَأَنَّهُ إِذَا مَا مَاتَ صَارَ عَدَمًا!! وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَرَتَّبَ عَلَىٰ مَوْتِهِ شَيْءٌ يَكُونُ؛ مِنْ بَعْثٍ وَلَا نَشْرٍ وَلَا حِسَابٍ وَلَا ثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ!!

فَهَذَا إِذَا لَمْ يُؤْمِنْ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْمَلَ.

وَعَامَّةُ الْخَلَلِ الَّذِي يَقَعُ فِي عَمَلِ الْعَامِلِينَ وَفِي إِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ قِلَّةِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

وَالنَّاسُ لَوْ آمَنُوا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ إِيمَانًا صَحِيحًا لَوَجَدْتَهُمْ بَعِيدِينَ عَنِ الشَّرِّ، قَرِيبِينَ مِنَ الْخَيْرِ، مُقْبِلِينَ عَلَىٰ الْبِرِّ، وَلَاسْتَقَامَتِ الْأُمُورُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا آمَنَ

بِالْمَوْتِ حَقِيقَةً -لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُؤْمِنُونَ بِالْمَوْتِ، لَا تَجِدُ أَحَدًا يُنْكِرُهُ، بَلْ كُلُّ النَّاسِ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُمْ سَيَمُوتُونَ، وَلَكِنْ كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمْ أَرَ حَقًّا لَا رَيْبَ فِيهِ أَشْبَهَ بِبَاطِلٍ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنَ الْمَوْتِ».

لَمْ أَرَ حَقًّا لَا رَيْبَ فِيهِ.. فَالْكُلُّ عَلَىٰ يَقِينٍ بِأَنَّهُ سَيَمُوتُ، وَلَكِنْ عَمَلُهُمْ لَيْسَ بِعَمَلِ مَنْ سَيَمُوتُ، فَيَقُولُ: «لَمْ أَرَ حَقًّا لَا رَيْبَ فِيهِ»، فَالْكُلُّ يُثْبِتُهُ حَقِيقَةً وَاقِعَةً.. «لَمْ أَرَ حَقًّا لَا رَيْبَ فِيهِ أَشْبَهَ بِبَاطِلٍ لَا رَيْبَ فِيهِ -كَأَنَّهُمْ لَنْ يَمُوتُوا- مِنَ الْمَوْتِ»، فَجَمِيعُهُمْ عَقِيدَةً يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُمْ سَيَمُوتُونَ، وَعَمَلًا كَأَنَّهُمْ لَنْ يَمُوتُوا، يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُمْ لَنْ يَمُوتُوا، فَيَقُولُ: «لَمْ أَرَ حَقًّا لَا رَيْبَ فِيهِ أَشْبَهَ بِبَاطِلٍ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنَ الْمَوْتِ».(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْخَمْسُونَ) - السَّبْتُ ٢٢ مِنْ شَوَّال ١٤٢٨هـ| الْمُوَافِقُ: ٣-١١-٢٠٠٧م.

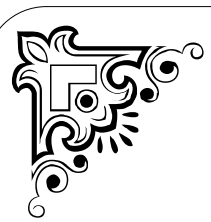

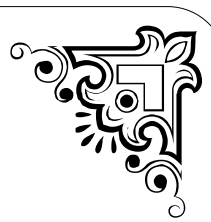

مَاذَا تَعْرِفُ عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ؟!!

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ تَحْقِيقَ الْعُبُودِيَّةِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الْمَرْضِيِّ عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِتَحْقِيقِ التَّوْحِيدِ -وَالْقَوْمُ عَنْهُ بِمَبْعَدَةٍ-، وَالْأُمَّةُ غَارِقَةٌ لَا نَقُولُ إِلَىٰ الْآذَانِ حَاشَاهَا، بَلْ هِيَ غَارِقَةٌ إِلَىٰ مُنْتَهَاهَا، بَلْ هِيَ فِي الْقَاعِ السَّحِيقِ غَارِقَةٌ فِي أُمُورٍ تُعَدُّ خُرُوجًا عَنِ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَجَهْلٌ مُطْبِقٌ عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، بَلْ عِنْدَ جَمْهَرَةِ الدَّاعِينَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ دُعَاةِ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ حَدِّثْ وَلَا حَرَجَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

أَمْرُ الْعَقِيدَةِ تَتَمَيَّزُ بِهِ الْأُمَّةُ وَتَقُومُ عَلَيْهِ دَوَافِعُ الْمُلِمَّةِ.

أَمْرُ الْعَقِيدَةِ كِتَابٌ وَسُنَّةٌ.

أَمْرُ الْعَقِيدَةِ قَصٌّ عَلَىٰ أَثَرِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَسَأَدْفَعُ إِلَيْكَ أَمْرًا وَاحِدًا، ثُمَّ أَنْتَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ تَأَمَّلْ فِيهِ مَلِيًّا، وَلَا تُجِبْ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ؛ فَلَيْسَ هُوَ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ إِجَابَةٍ، وَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ.

أَرْكَانُ الْإِيمَانِ سِتَّةٌ؛ وَضَّحَهَا لَنَا نَبِيُّنَا ﷺ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا، وَوَضَّحَهَا الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا، وَمِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

وَسَلِ الْآنَ نَفْسَكَ مَا الَّذِي تَعْرِفُهُ عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ؟!

مُفْرَدَاتٌ كَثِيرَةٌ! وَأَنْتَ يَا خَلِيلِي وَصَاحِبِي، سَتُسْأَلُ وَعَلَىٰ قَدْرِ ثَبَاتِ التَّوْحِيدِ فِي نَفْسِكَ عَلَىٰ قَدْرِ غُفْرَانِ مَا اجْتَنَتْ وَاجْتَرَحَتْ يَدَاكَ.

فَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْفَعُهُ فَهُوَ حَدِيثٌ قُدُسِيٌّ شَرِيفٌ صَحِيحٌ: أَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَقُولُ: «**يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ**».

وَالْعَنَانُ: السَّحَابُ رَقِيقًا، وَفِي قَوْلٍ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ أَوْ كَثِيفًا.

«**لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لَقِيتُكَ بِقُرَابِ الْأَرْضِ مَغْفِرَةً**».

يَقُولُ: «**يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا**»؛ وَالْقُرَابُ هُوَ مَا يُقَارِبُ الْمَلْءَ.

«**لَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا؛ ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لَقِيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**».

إِذَنْ؛ هَذَا الْأَمْرُ الْجَلِيلُ سَتُسْأَلُ عَنْهُ.

وَأَنْتَ خَبِيرٌ بِأَنَّ: **مَنْ أَمِنَ الْعُقُوبَةَ أَسَاءَ الْأَدَبَ**.

مَنْ أَمِنَ الْعُقُوبَةَ أَسَاءَ الْأَدَبَ.

وَإِذَا كُنْتَ لَا تَعْلَمُ مَا أَعَدَّ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلنَّاسِ مِنْ سَكَرَاتِ مَوْتٍ وَمِنْ أَهْوَالِ قَبْرٍ، ثُمَّ مَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ بَعْثٍ وَحَشْرٍ وَنَشْرٍ، ثُمَّ مَا أَعَدَّهُ اللهُ رَبُّ

الْعَالَمِينَ مِنْ كُرَبٍ تَشْمَلُ الْقَوْمَ وَتَعُمُّهُمْ فِي الْمَوْقِفِ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِهِمْ وَخَالِقِهِمْ، وَقَدْ جَمَعَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا بَيْنَ يَدَيِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَا.

ثُمَّ مَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ تَطَايُرٍ لِلْكُتُبِ وَتَنَاثُرٍ لِلصُّحُفِ وَمِنْ آخِذٍ بِيَمِينٍ مِنْ أَمَامَ، وَمِنْ آخِذٍ بِشِمَالٍ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ.

ثُمَّ مَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ اجْتِيَازِ الصِّرَاطِ وَهُوَ مَضْرُوبٌ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ.

ثُمَّ مَا أَعَدَّ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ لِلْعَاصِينَ فِي النَّارِ مِنَ الْعَذَابِ، وَمَا أَعَدَّ لِلْفَالِحِينَ الطَّائِعِينَ فِي الْجَنَّةِ مِنْ مَوْفُورِ الثَّوَابِ.

إِذَا كَانَ الْمَرْءُ لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ بِرَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ، وَثَوَابٍ وَعِقَابٍ وَعَذَابٍ؛ إِذَا كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ وَلَا يَتَيَقَّنُهُ وَقَدْ يَعْلَمُهُ وَلَا يَتَيَقَّنُهُ ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤].

وَقَدْ يَتَيَقَّنُهُ فِي نَفْسِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ بِهِ، ثُمَّ لَا يُثْمِرُ فِي حَيَاتِهِ عَمَلًا، وَلَا يُنْتِجُ عِنْدَهُ الْخَوْفُ شَيْئًا.

إِذَا كَانَ الْمَرْءُ فِي هَذِهِ الْجَهَالَةِ الْجَهْلَاءِ وَلَكِنَّهُ يَعْلَمُ مِنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ الْعَصْرِ الَّتِي ابْتَدَعَهَا الْمُبْتَدِعُونَ وَأَلَّفَهَا الْمُؤَلِّفُونَ وَصَنَّفَهَا الْمُصَنِّفُونَ لِيَشْغَلُوا الْمُسْلِمِينَ عَنْ أَصْلِ الْفَلَاحِ وَالنَّجَاحِ وَهُوَ التَّمَسُّكُ بِهَذَا الدِّينِ فِي نَقَائِهِ وَصَفَائِهِ وَأَصْلِهِ كَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُ ﷺ.

إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَشْغَلُ نَفْسَهُ بِزِبَالَاتِ أَفْكَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ كُلِّ وَضِيعٍ فَسْلٍ، مِنْ كُلِّ أَفَّاكٍ مَتَهَوِّكٍ لَا يَكَادُ يَعِي مَا يَخْرُجُ مِنْ ذِهْنِهِ، ثُمَّ تُصَدَّرُ الْمَنَاهِجُ إِلَىٰ

دِيَارِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ يَعِيشُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ عَلَىٰ مُحَارَبَتِهَا حِينًا وَعَلَىٰ مُنَازَلَتِهَا أَحْيَانًا، وَهُمْ بِمَبْعَدَةٍ عَنِ الْأَصْلِ الْأَصِيلِ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَصْدُرُوا عَنْهُ، وَأَنْ يَتَمَسَّكُوا بِهِ.

الْآنَ! اخْلُ بِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ، وَائْتِ بِوَرَقَةٍ بَيْضَاءَ لَمْ تُدَنِّسْهَا آثَامٌ ثُمَّ خُذْ قَلَمًا؛ كَأَنَّهُ رُمْحٌ لَا يَا أَخِي بَلِ اجْعَلْهُ كَسَيْفِ عَنْتَرَةَ عِنْدَمَا كَانَ يَمْتَشِقُهُ فِي الْمَعْرَكَةِ يُقَاتِلُ بِهِ الْوَرَىٰ.

ثُمَّ اخْلُ بِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ وَقَرِّرِ الْآنَ عَقِيدَتَكَ فِي الْأَصْلِ السَّادِسِ مِنْ أُصُولِ الْإِيمَانِ وَهُوَ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ.

حَاشَا لِلَّهِ، بَلْ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ ذَلِكَ؛ قَرِّرْ لِنَفْسِكَ عَقِيدَتَكَ الَّتِي تَلْقَىٰ عَلَيْهَا اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ.

وَأَنَا زَعِيمٌ بِأَنَّ أَكْثَرَ الْخَلْقِ -إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ- لَنْ يَكْتُبُوا إِلَّا سَطْرًا أَوْ سَطْرَيْنِ أَوْ جُمْلَةً أَوْ جُمْلَتَيْنِ.

وَالْأَمْرُ لِلَّهِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ.

تَعَلَّمُوا دِينَ اللهِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ أَصْلَ الْإِصْلَاحِ وَالصَّلَاحِ إِنَّمَا هُوَ فِي هَذِهِ الْعَقِيدَةِ فَهِيَ الْأَصْلُ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «نُقْطَةُ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَتَاهَةِ» - الْجُمُعَةِ ١٧ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٧هـ| الْمُوَافِقُ: ١٧ - ٣- ٢٠٠٦م.

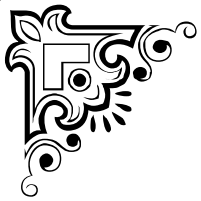

مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ الْآخِرَ لَنَا!!

عِبَادَ اللهِ! كُلُّ مَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ مِنَ الْيَوْمِ الْآخِرِ، إِذَنْ؛ مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ الْآخِرَ لَنَا، لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ إِلَّا أَنْ نَمُوتَ، ثُمَّ يَدْخُلُ الْوَاحِدُ مِنَّا فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ الَّذِيْ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا الْجَزَاءُ عَلَىٰ الْعَمَلِ، لِهَذَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَلْتَفِتَ تَمَامَ الِالْتِفَاتِ لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

فَكِّرْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ تَجِدْ أَنَّكَ عَلَىٰ خَطَرٍ؛ لِأَنَّ الْمَوْتَ لَيْسَ لَهُ أَجَلٌ مَعْلُومٌ عِنْدَكَ، قَدْ يَخْرُجُ الْإِنْسَانُ مِنْ بَيْتِهِ وَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ، وَقَدْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ كُرْسِيِّ مَكْتَبِهِ وَلَا يَقُومُ مِنْهُ إِلَّا مَحْمُولًا إِلَىٰ غُسْلِهِ وَكَفَنِهِ وَدَفْنِهِ وَتَغْيِيبِهِ فِي قَبْرِهِ لِلدُّودِ وَالْهَوَامِّ وَلِقَاءِ جَزَاءِ عَمَلِهِ!!

وَقَدْ يَنَامُ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ فِرَاشِهِ، لَكِنَّهُ يُحْمَلُ مِنْ فِرَاشِهِ إِلَىٰ سَرِيرِ غُسْلِهِ، وَهَذَا أَمْرٌ يَسْتَوْجِبُ مِنَّا أَنْ نَنْتَهِزَ الْفُرْصَةَ -فُرْصَةَ الْعُمُرِ- بِالتَّوْبَةِ إِلَىٰ اللهِ جَلَّوَعَلَا، وَأَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ دَائِمًا مُسْتَشْعِرًا أَنَّهُ تَائِبٌ إِلَىٰ اللهِ وَرَاجِعٌ وَمُنِيبٌ إِلَيْهِ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُ الْأَجَلُ وَهُوَ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يُرَامُ.. نَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ يُحْسِنَ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «عَلَامَاتُ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ - رَزَقَنَا اللهُ حُسْنَهَا» - الْجُمُعَةُ ١٨ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٩هـ| ٤-٥-٢٠١٨م.

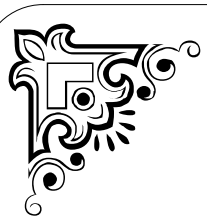

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ..... ٣

نِعْمَةُ الْإِيمَانِ..... ٤

عَقِيدَتُنَا فِي الْإِيمَانِ..... ٩

الرُّكْنُ الْخَامِسُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ: الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ..... ١٦

مَعْنَىٰ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَسَبَبُ التَّسْمِيَةِ..... ١٩

أَهَمِّيَّةُ الْيَوْمِ الْآخِرِ الْعُظْمَىٰ..... ٢٢

وُجُوبُ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فِي كُلِّ الشَّرَائِعِ..... ٢٥

وُجُوبُ الْإِيمَانِ بِتَفَاصِيلِ الْيَوْمِ الْآخِرِ..... ٢٧

الْيَوْمُ الْآخِرُ حَقٌّ وَاقِعٌ..... ٣١

مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِالْمَوْتِ..... ٣٣

مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ وَعَذَابِهِ..... ٣٦

مِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ وَالْحَشْرِ وَالْحِسَابِ..... ٦١

أَثَرُ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ فِي السُّلُوكِ..... ٧٨

الْخَلَلُ فِي الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَوَاقِبُهُ..... ٨٥

مَاذَا تَعْرِفُ عَنِ الْيَوْمِ الْآخِرِ؟!!..... ٨٧

مَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ الْآخِرَ لَنَا!!..... ٩١

الفهرس..... ٩٣